الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة



كلية: العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم :العلوم الإنسانية

التخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

النظام العسكري في بجاية الحفصية

خلال القرن (07-09هـ/13-15م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص :تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالبتان **تحت إشراف الدكتورة**

- سميحة رميلات. **د/ آسيا ساحلي**

- وفاء الواهم .

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
		رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
د.آسيا ساحلي	أستاذة محاضرة . أ .	مشرفا ومقررا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
			جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

السنـة الجـا معـية:

2025-2024/ 1446-1445

الشكر

من لا يشكر الناس لا يشكر الله

شكرا لتلك القلوب النقية التي وقفت معنا ورفعت أكفها بالدعاء

شكرا لمن وقف معنا بحرف أو موقف أو دعاء

شكرا لكل شخص ساندنا و دعمنا و وقف معنا وشجعنا

شكرا لكل من قدم لنا دعوة من القلب

إن قلنا شكرا فشكرنا لن يوفيكم حق سعيكم

فكان السعي مشكورا

الحمد لله على الوصول و على التمام

و الحمد لله على ما كان بالأمس حلما

و الحمد لله الذي ما تم جهدا و لاختتم سعيا إلا بفضله

كما لا ننسى أن نذكر دور الأستاذة المشرفة الدكتورة "آسيا ساحلي" على تقديم الملاحظات القيمة

و لا يفوتنا كذلك أن أقدم جزيل الشكر إلى الأستاذة الفاضلة " زاوي أسماء " "جامعة ابن خلدون تيارت والأستاذ "صلاح الدين"

مقدمة

التعريف بالموضوع و تحديد الإطار الزماني والمكاني :

شهد المغرب الاسلامي طوال الفترات التاريخية جملة من الاضطرابات السياسية التي كانت بمثابة مد وجزر ، فتعد دولة الموحدين كغيرها من الولايات الأخرى التي شهدت أيضا اضطرابات نتيجة لضعف الموحدين و اختلال سلطتهم ذمما نتج هذا ظهور كيانات مستقلة في دولة الموحدين وعلى رأسها الدولة المرينية في المغرب الأقصى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط وأخيرا الدولة الحفصية في المغرب الأدنى.

أدى هذا الانقسام والتفكك في المغرب الاسلامي إلى نشوء صراع عسكري وسياسي بالضرورة بين هاته الدويلات بهدف التوسع و بسط النفود الذي يعد الهدف الأول و الأخير مما أدى إلى التسابق في كسب القوى من خلال تنظيم الجيش بوجهييه البري والبحري والعناية بالجانب العسكري بكثرة مقارنة بباقي الجوانب الأخرى، فاعتنى الأمراء الحفصيون بهذا الجانب باعتبار أن بجاية العاصمة الثانية للدولة الحفصية فقد كان الاهتمام متزايد لإنشاء قاعدة عسكرية قوية يعتمد عيها في حروبهم و نزاعاتهم.

أما الإطار المكاني فينحصر في بجاية المدنية، ثم بجاية كمفهومها عاصمة الإمارة الحفصية، وينحصر الموضوع زمانيا بين القرن 07-09 هـ / 13-15 م، وهذه الدراسة تبحث في النظام العسكري في بجاية الحفصية .

دوافع احتيار الموضوع :

تكمن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع رغبتنا الشخصية في دراسة هذا الموضوع الغي بالأحداث والتطورات الهامة في تاريخ المغرب الإسلامي .

- محاولة تسليط الضوء من خلال هذا العمل على مدينة بجاية في العهد الحفصي و التعرف على هذه الفترة المشرقة من تاريخ هذه الحاضرة و ما عرفته من تطور سياسي واقتصادي و عمراني .
- تعتبر بجاية منطقة تاريخية وجزء لا يتجزأ من الحواضر الاسلامية في المنطقة ذلك نتيجة للأحداث التي مرت بها وكونها سبب أساسي لظهور العديد من الكيانات السياسية .
- قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة الجانب العسكري لبجاية رغم أهميتها الاستراتيجية، وبتشجيع من المشرفة، وقع اختيارنا على هذا الموضوع.

أهمية الموضوع :

تكتسب هذه الدراسة أهميتها في كونها تتناول جانبا حيويا يؤثر بشكل عميق في مختلف المجالات للتكوين الحضاري والعسكري لمدينة بجاية في العهد الحفصي.

كما تكمن أيضا أهميتها في تسليط الضوء على بجاية الحفصية والكشف عن آليات تشكلها العسكرية بفضل سياسة أمرائها الحفصيين، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي مما يجعلها نموذجا متميز للدراسات التاريخية التي تصب في الجانب العسكري .

الدراسات السابقة :

من بين الدراسات السابقة التي استفدنا منها في بلورة اشكالية الموضوع، وفهم بعض زواياه الغامضة، يمكننا أن نشير الى البعض منها، خصوصا تلك التي تناولت موضوعنا بشكل مباشر أو تلك التي ناقشت بعض عناصره المهمة، على غرار:

أطروحة الدكتوراه لأمينة بوتشيش بعنوان "بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية و حضارية" [1] التي اعتمدنا عليها في دراسة الجانب الاقتصادي والعمراني لبجاية .

- كما نجد أطروحة الدكتوراه الموحدة لصالح بعيزيق بعنوان : "بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية " [2]، حيث نجد أن هذه الدراسة تسلط الضوء على موقع بجاية الاستراتيجي وأهميته السياسية والذي أفادتنا في فهم أسباب ودوافع إنشاء الحفصيين لتنظيم عسكري محكم .
- ونجد أيضا مقال عبد الكريم عزوق "التحصينات الدفاعية الاسلامية ببجاية" [3] حيث أفادنا في تقديم وصف دقيق للتخطيط العمراني الدفاعي في بجاية من حيث التصميم والوظائف .
- العيد غزالة "مساهمة العنصر الأندلسي في الجيش الحفصي" [4] حيث أفادتنا هذه الدراسة في إبراز عدد ودور العناصر الأندلسية في تنظيم الجيش الحفصي.

---

1 – رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في تاريخ الغرب الاسلامي ، إشراف أ. د مبحوث بودواية، بلحاج معروف، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعية 2015-2016 .

2 – منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس ، 1995 .

3 – مقال منشور في مجلة دراسات وأبحاث، الجلفة، ع (5)، رقم 12، سنة 2013، ص ص 75 -95 .

4 – مقال منشور في مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، وادي سوف، ع (3)، رقم 1، سنة 2019 ، ص ص 53- 75.

- عمل الباحث الأكاديمي الفرنسي دومينيك فاليرين معنون بـ "بجاية ميناء مغاربي (1067 – 1510 م)" [5] أفاد كثيرا في التحدث عن بجاية منذ تأسيسها، وأيضا الأوضاع الاقتصادية بكل جوانبها لا سيما الميدان التجاري، كما تحدث عن الأسطول البحري الدي تمتعت به المدينة
- الدراسة المهمة للباحث بريكة مسعود الموسومة بـ "النخبة و السلطة في بجاية الحفصية (7 – 9 هـ / 13 – 15 م)" [6] ناقش خلالها اشكالية هيكلة الجيش في بجاية وعناصره المؤثرة، واستفدنا منه في هذا الجانب بشكل خاص.

الإشكالية العامة:

كيف ساعدت البنية التنظيمية للجيش الحفصي و تكوينه العسكري في تعزيز حماية الحدود وترسيخ استقرار الدولة أمام التحديات والصراعات الإقليمية المستمرة ؟

الإشكاليات الجزئية:

- هل كان التنظيم العسكري قائما عل التجنيد المحلي أم على المرتزقة ؟
- كيف ساهم الجيش في حماية المدينة من التهديدات الخارجية والغزوات البحرية خاصة الإسبان؟
- ماهي طبيعة التنظيم العسكري في بجاية خلال الفترة الحصية ؟
- فيما تمثلت أهمية الموقع الجغرافي و تنوع الموارد الطبيعة في تطوير الأسطول البحري؟
- ما هو دور الأسطول البحري في بجاية الحفصية ؟
- كيف ساهمت التحصينات الدفاعية لبجاية الحفصية في صد الهجمات الخارجية ؟
- ما هي أهم الهياكل التحصينات العسكرية الدفاعية في بجاية خلال العهد الحفصي ؟

المنهج المتبع:

اعتمدنا على المنهج التاريخي بآلياته المختلفة من وصف وتحليل فالمنهج الوصفي اعتمدت عليه في وصف مدينة بجاية وعمرانها، بالإضافة إلى المنهج التحليل الذي وفر لنا فرصة قراءة الأحداث و

5 – ترجمة علاوة عمارة ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014 .

6 – دار ميم للنشر، الجزائر، 2014 م.

تحليلها و تعليلها و استنباط الأفكار المترتبة بغية الحصول على نتائج مقبولة في محاولة تغطية جميع جوانب الموضوع .

خطة البحث :

ولتغطية إشكالية البحث قسمناه لمقدمة وأربعة فصول وخاتمة . فقد كانت بدايتها بفصل تمهيدي بعنوان الحفصيون في بجاية الذي أشرنا فيه إلى أصل الحفصيين ونسبهم إضافة للخلفيات الممهدة إلى ظهور الحكم الحفضي أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان تنظيم الجيش البري في بجاية الحفصية و قد اندرج تحته مجموعة من المباحث فتعرضنا إلى ذكر دوافع تأسيس الجيش في بجاية انطلاقا من الموقع الاستراتيجي ثم تطرقنا إلى التفصيل في ذكر أصل الحفصيين، ثم ذكرنا العناصر المكونة للجيش من محلية وأجنبية، ثم قمنا بتحديد حجم الجيش العددي، أخيرا فصلنا في طبيعة لباس الجيش وبينا أهم المصادر المعتمد عليها في تموين الجيش .

أما الفصل الثاني المعنون بالأسطول البحري في بجاية الحفصية فقد تناولنا فيه الموقع الاستراتيجي لبجاية ، كما تطرقنا فيه إلى ذكر أهم الموارد الطبيعية المستغلة في الصناعات البحرية ، ثم بعد ذلك ذكرنا التجارة البحرية المزدهرة بالمواد الأولية و مراكز لصناعة السفن ثم فصلنا في القرصنة البحرية وأخيرا ذكرنا أهم المواجهات العسكرية التي خاضها الأسطول البحري .

وخصصنا الفصل الثالث للتحصينات الدفاعية في بجاية الحفصية الذي ذكرنا فيه أهم التحصينات الطبيعية التي عرفتها بجاية ثم قمنا بالتفصيل في تنوع الهياكل الدفاعية ومدى حصانتها وصلابتها، وأخيرا تطرقنا إلى الأساليب الدفاعية التي اعتمدت عليها الدولة في تحصين أمنها الداخلي .

وفي الأخير ختمنا موضوعنا بمجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها كحصيلة لذلك.

نقد المادة المصدرية:

ولكي تكون هذه الدراسة موثقة اعتمدنا على مادة علمية من مصادر جغرافية

و مصادر التاريخ العام وكتب التراجم .

أ. كتب الجغرافيا :

. الإدريسي(ت 560هـ / 1165م) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "، حيث ساعدني الإدريسي بالمعلومات التي قدمها خاصة و أنه من أهل بلاد المغرب، ورد فيه تعاريف لبعض

المناطق من بينها مدينة بجاية، كما أشار إلى بعض من مجالها الاقتصادي والصناعي فمعلومات الإدريسي ألم بها من مشاهداته عبر رحلاته وأسفاره من بينها مدن المغرب الإسلامي .

. مؤلف مجهول عاش في (ق 6 هـ /12م) ، كتابه الاستبصار في عجائب الأمصار، وهو من أهم المصادر الجغرافية المتعلقة بدراستنا و خاصة أنه ابن البيئة المغربية ، من خلاله كانت لنا إطلالة على مختلف الأنشطة الصناعية ببجاية .

. معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626 هـ /1228 م) هذا المصدر عبارة عن أجزاء بها تعاريف لمختلف المدن مرتبة حسب الأبجدية فاستفدنا منه في التعريف ببعض المناطق التي وردت في الدراسة .

ب. كتب التراجم :

. الغبريني (ت 704 / 1304 م) صاحب كتاب الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية : الذي ترجم في المائة وتسعين (190) عالما، سواء الذين استوطنوا ببجاية أو الوافدين إليها ، كما لم يغفل الإشارة إلى الأوضاع و الأحداث السياسية والاجتماعية .

وبذلك يكون قد أفادنا في الكثير باعتباره صفحة مشرقة من التاريخ الحضاري و الفكري لحاضرة بجاية و استنباط منه كذلك عمران بجاية .

ج. كتب التاريخ العام :

. عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808 هـ / 1406 م) في كتابه العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر"، المتكون من عدة أجزاء استفدنا من الجزء السادس الذي خصص لدراسة الأوضاع السياسية للمغرب الاسلامي بما فيه بجاية كونها الحاضرة الثانية للحفصيين، وكذلك التعرف على أهم القادة العسكرية ببجاية.

الصعوبات :

كغيره من الأعمال الأكاديمية لا تخلو أبدا من الصعوبات المنهجية :

- قلة المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع بصفة مباشرة لأن معظم المصادر يتناول الجانب السياسي بصفة أكثر من باقي الجوانب .
- البحث يتطلب مدة زمنية طويلة للإحاطة بكل جوانب الموضوع.
- صعوبة إحداث نوع من التوازن بين الفصول و شح المعلومات.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث و خصوصا للأستاذة المشرفة "**آسيا ساحلي**"، التي حرصت على تقديم النصائح و التوجيهات ولم تبخل علينا بأية معلومات.

الفصل التمهيدي : الحفصيون في بجاية

أولا :أصل الحفصيين ونسبهم

ثانيا : الخلفيات الممهدة لظهور الحكم الحفصي

الفصل التمهيدي :

أولا : أصل الحفصيين :

ينتسب أصل الحفصيين إلى الشيخ أبي حفص عمر ، من أصحاب المهدي بن تومرت[1] كما ينتمي أبي حفص إلى قبيلة هنتاتة[2]، و هي إحدى القبائل العريقة التي كانت تمثل قوة الحركة الموحدية.

كان أبو حفص عمر زعيما لهنتاتة ، رفيع الشأن في الدعوة الموحدية، إذ مهد لخلافة عبد المؤمن بن علي بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة 524 هـ / 1129 م ، توفي الشيخ أبو حفص عمر سنة 571هـ / 1175 م، إثر إصابته بمرض خطير[3].

ثانيا : الخلفيات الممهدة لظهور الحكم الحفصي :

شهد المغرب خلال القرنين السادس عشر و السابع للهجرة (الثاني عشر والثالث عشر ميلادي) تحولات سياسية كبرى ، تمثلت في ضعف الدولة الموحدية وتفكك سلطتها المركزية ، مما أفسح المجال لظهور قوى سياسية جديدة في مختلف أنحاء المنطقة ، وفي هذا السياق ظهرت الدولة الحفصية بإفريقية (تونس حاليا) مستفيدة من عدة ظروف مساعدة ، أبرزها انهيار الحكم الموحدي، وتنامي النزعة الاستقلالية لدى الولاة المحليين ، إضافة إلى الموقع الجغرافي الاستراتيجي لإفريقية ، الذي مكنها من لعب دور سياسي و تجاري مهم في حوض البحر المتوسط وقد

---

1 –عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ / 1406 م) ، العبر ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر : ضبط ومراجعة خليل شحادة ، سهيل زكار، دار الفكر و الطباعة و النشر ، بيروت ، ط 2، ج6 ، 2000 ، ص 360.

2 –قبيلة هنتاتة : من أعظم وأشد القبائل مصمودة البربرية يسكنون جبل درن القريب لمراكش ، ينظر : عبد الرحمن ابن خلدون ، مصدر نفسه ، ص 360.

3 – روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 ، تر:حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1988 ، ج1 ، ص 45.

ساعدت هذه العوامل في بروز الدولة الحفصية كقوة سياسية مستقلة سرعان ما تمكنت من فرض وجودها في المنطقة .

ساهمت الظروف التي كانت تعيشها إفريقية في الربع الأخير من القرن السادس الهجري بدور كبير في تمهيد الطريق لظهور الدولة الحفصية حيت لعبت عدة عوامل دورًا محوريا في ذلك ، ونجد من أبرزها الفتن والثورات التي أشعلتها القبائل العربية، خاصة بني هلال[1] وبني سليم[2] التي انتقلت إلى بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري مما أدى إلى زعزعة الاستقرار في معظم الأقاليم كما انتقل الصراع الدائر بين بقايا المرابطين والموحدين من الأندلس إلى شمال إفريقيا وكان لثورة بني غانية دور بارز في هذا السياق إذ تعد إحدى أبرز مظاهر ذلك الصراع ،[3] حيث ساهمت بشكل كبير في تقويض دعائم الدولة الموحدية.

كما نجد أنه في هذه الظروف اغتنم بنوغانية الأوضاع المضطربة حيث شهدت الدولة الموحدية حالة من الضعف والانشغال وهذا راجع إلى الاستعدادات العسكرية لمواجهة الحملات المسيحية في الأندلس ، فانطلقوا من جزر البليار نحو غزو مدينة سطاية بقيادة علي بن غانية على رأس أسطول مكون من عدد من السفن الحربية ، حوالي عشرون سفينة بحرية ومائة فارس وأربعة آلاف راجل من أجل السيطرة عليها بسهولة خاصة مع غياب وليها أنذك ، أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن.[4]

---

1 – بنو هلال : هي بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية وهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة. ينظر: أبو العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح: علي الخاقاني ، بغداد ، مطبعة النجاح ، 1958 ، ص 401.

2 – بنو سليم : قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى ، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس هم أكثر القبائل قيس ، ينظر : المصدر نفسه ، ص 173-174.

3 – محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، دط ، لبنان ، 1986 ، ص 21-22.

4 – عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/ 1249م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب : تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، دت ، ص 194-195.

ومن أبرز ما قام به بنو غانية بعد دخولهم إلى بجاية هو إعلان الطاعة للخلافة العباسية، ورفع اسم الخليفة العباسي أبو العباس الناصر (575 -622 هـ/ 1180- 1225 م) كنوع من الشرعية السياسية في استيلاءهم على بجاية للغزو وعلى عدة مدن بالمغرب الأوسط منها الجزائر[1] مليانة ، قلعة بني حماد[2]. غير أنهم فشلو في السيطرة على قسنطينة برغم من الحصار المشدد عليها .

غير أن الخليفة المنصور، عندما سمع أخبار بني غانية جهز حملة عسكرية برية وبحرية متجه نحو تونس بقيادة جيش بري قائده ابن عمه أبي زيد بن أبي حفص أما الأسطول بقيادة محمد بن أبي إسحاق بن جامع حيث استطاع الجيش أن يسترجع مدينة الجزائر والقبض على المرابطي بحي بن طلحة، واسترجاع بجاية في (581هـ/1185م) غير أن يحي هرب اتجاه قسنطينة التي هي بدورها محصورة من بني غانية غير أنه عندما سمع الانتصارات التي حققها الموحدون اضطر إلى إلغاء الحصار واتجه إلى الصحراء خشية من الموحدين ، لكن لم يقتصر على هذا فقط حتى ظهر بنو غانية من جديد في صفر (583هـ / 1187 م) بإفريقية.

فاستعانوا بيعقوب المنصور الموحدي الذي هو بدوره أرسل لهم جيش مكون من ستة آلاف فارس ، ولكن رغم هذا انهزم الموحدون في المواجهة غير أن المنصور خرج بنفسه في شهر شعبان (583هـ/1187م) وأعاد لهم حقهم و استرجع مدينة قابس وقفصة وعين عليها أبوزيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن سنة (584 هـ/1188م) .[3]

---

1 – الجزائر :مدينة على البحر، بينها وبين بجاية أربعة أيام. وتعرف الجزائر بني مزغناي ومرساها حصني. ينظر: ياقوت الحموي " معجم البلدان ، ج 6، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1979 ، ص 132.

2 –قلعة بنو حماد : بناها بنو حماد و اتخذوها عاصمة لهم في حدود 370 هـ – 980 م تقع قرب أشير بإفريقية. المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 390.

3 – رحيم عائشة ، المؤسسات العلمية في العهد الحفصي ، دراسة تاريخية ، مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، في علوم تاريخ العرب الإسلامي، إشراف سي عبد القادر عمر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،2017-2018 ، ص 18 -19.

كما نجد أيضا أن الناصر لدين الله تصدى لثورة بني غانية الذين استولوا على معظم إفريقية ، لكنه درسها بكل جوانبها و قرر أنه من أجل القضاء عليها يجب الاستيلاء على جزر البليار وهي تعتبر قاعدة بني غانية ، فصمم على فتحها. فشن عليها حملتين برية بقيادة الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي حفص والبحرية بقيادة أبو علاء إدريسي بن يوسف. [1]

غير أن الناصر لم يكتمل نجاحه حتى عاد يحي بن غانية للاستيلاء على المهدية وطرابلس وقابس وصفاقس وكل مدن الجريد التي تضم القيروان وتبسة وبونة ثم تونس سنة 600هـ/1203م وغير أنه أمام هذه الأوضاع نجد أن الناصر لم يستسلم من أجل القضاء على يحي بن غانية ، الذي لاذ بالفرار غير أن جيوش الناصر تبعته بقيادة أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر الذي دارت بينهم معركة في ضواحي قفصة ، لكن و للمرة الثانية انتهت المعركة بفشل جيوش الناصر و هروب بن غانية إلى الصحراء
و استعاد المهدية بعد سنة 602هـ/1205م.[2]

ولكن بعد استقرار الأوضاع أراد الناصر العودة إلى مراكش لكنه تردد فقام بمشاورة الموحدين فيما يره الأنسب : غير أن الخليفة استطاع إقناعه وذلك حسب ما ورد عن ابن خلدون في قوله : "إما أن تتجه أنت إلى المغرب و اجلس أنا ، و إما أن تجلس أنت وأنصرف أنا". فقبل عبد الواحد الشروط، لكن بشروط شنها ، ألا و هي أن رجال الموحدين يبقون معه ولا يحاسب على ما يفعل.[3]

وتم تسليم الشيخ أبو محمد عبد الواحد الأمور الإفريقية سنة (603هـ/1206م) وأنه أدارها بفطنة وحسن التدبير وعمل على تحقيق الأمن والأمان والقضاء على الفوضى خاصة بعد

1 – رحيم عائشة ، مرجع سابق ، ص 19.

2 – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 572.

3 – المصدر نفسه ، ص 263.

التي أحدثتها بنو غانية ، وتحولت تونس إلى عاصمة إفريقية ، وشن مجموعة القوانين الجديدة من أجل البلاد ، و استمر الشيخ في ولايته حتى توفي محرم سنة (618هـ/1221م) في تونس.[1]

لكن بعد وفات الشيخ أبي محمد عبد الواحد انقسم الموحدون إلى قسمين ، فرقة اختارت ابنه أبا زيد عبد الرحمان و الأخرى فظلوا ابن أخيه إبراهيم إسماعيل بن الشيخ أبي حفص ، لكن في الأخير رجع واستقر القرار على إمارة ابنه أبي زيد و هذا راجع إلى شجاعته و فطنته وحنكته في تسيير الأمور الذي سار على نهج والده لكن رغم هذا لم تدم فترته طويلا بل اقتصرت على ثلاث أشهر ، و ذلك بالقرار الذي جاء به المستنصر الموحدي ، وتوليه أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن على إفريقية بنيابة الشيخ أبو إسحاق بن إسماعيل ، غير أنه في نفس الوقت طلب من أولاد الشيخ العودة إلى مراكش .[2]

وبوصول أبو العلاء إدريس إلى تونس سنة (618هـ/1221م) قام بالقبض على ابن النخيل كاتب الشيخ أبي محمد فقتله هو و أخوه غير أن ابن غانية عادو إليهم سنة (620هـ/1223م) فتواجههم إلى أن أجلاهم إلى الصراء واستمر في ولايته إلى أن وافته المنية سنة(620هـ/1223م) ، وخلفه أبو زيد بن أبي علاء الذي لم ينجح في توليه للإمارة الذي أساء إلى الناس فقام الخلفية الجديد العادل الموحدي الذي اختار علي أبي محمد بن الشيخ عبد الواحد الحفصي سنة (623هـ/1225م) .[3]

و من هنا نستنتج أن الخليفة العادل تفطن بأن الأسرة الحفصية ساهمت بدور فعال في أمان إفريقية والقضاء على بني غانية التي أفقدت الموحدين جزء هام من دولتهم لكن بعد خروج أبو محمد عبد الله الحفصي من مراكش سنة (623هـ/1225م) وبرفقة أخويه أبو زكرياء وإبراهيم متجها إلى إفريقية ونجده أنه عندما وصل تونس استقر في القصبة في أواخر شهر ذي

1 – رحيم عائشة ، المرجع السابق ، ص 22.

2 – ابن خلدون، المصدر السابق، ص 300.

3 – المصدر نفسه ، ص 300 – 302 .

القعدة من نفس السنة بدأ تنظيم شؤون الحكم فعين إخوته في مناصب مهمة حيث ولى أخاه أبا إبراهيم ولاية قسنطينة أما أبي زكرياء ويحي فولاه قابس و الحامة غير أنه في عهد إبراهيم عادت حركة بني غانية للنشاط من جديد مما دفع الشيخ أبو محمد لمواجهتهم واستعاد منهم عدة مناطق كانوا قد سيطروا عليها مثل :بجاية و الأندلس بالإضافة إلى متيجة و مليانة و حتى مدينة الجزائر غير أنه في منتصف سنة(624 هـ /1226م) فقضي على الشيخ أبو محمد عبد الله على ابن غانية و هاجم القبائل التي ساندتهم وعاد أدراجه إلى تونس ومن ذلك الوقت لم يعودوا.[1]

غير أنه بعد قضائهم على بني غانية اضطربت أحوال الموحدين بمراكش فعندما قتل الخليفة الموحدي عادل سنة 624 هـ/1226 م، خلفه يحي المعتصم غير أن والي إشبيلية بالأندلس أبا العلاء إدريس الموحدي ذهب إلى مراكش من أجل الخلافة و عين نفسه بالمأمون وطلب من محمد الحفصي الولاء غير أنه رفض طلبه.

لكن المأمون اتصل بأبي زكرياء يحي يطالبه بالتبعية له مقابل أن يجعله واليا على إفريقية قبل أبو زكرياء العرض وذلك من أجل تحقيق أهدافه السياسية.

غير أن أخوه عند ما علم بهذه التطورات الذي حدثت خاصة بعد كسب أبي زكرياء تأييد ابن مكي وأعيان قابس و إعلان ولايته على إفريقية في القيروان سنة 625هـ/1227 م، خرج إلى تونس لمواجهة أخوه غير أن شيوخ الموحدين رفضوا محاربته لأخيه فقبضوا عليه و ولوا أخاه أبا زكرياء غير أنهم أجبروه على التخلي للولاية.[2]

ساهمت الظروف الصعبة التي مرت بها الدولة الموحدية من ضعف و انهيار داخلي في تشجيع بني حفص على التطلع إلى السيطرة على المغرب ، حيث اعتبروا أنفسهم الأحق بالحكم ، كونهم ينتمون إلى المصامدة الذين كانوا أساس قيام الدولة الموحدية ، فاستغلوا تدهور الأوضاع

1 – ابن خلدون، المصدر السابق، ، ص 300.

2 – الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح : محمد ماضور ، ط 2 ، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص ص 23 – 24.

لتعزيز نفوذهم و مد سلطتهم ، مدفوعين برغبتهم في وراثة إرث الموحدين .[1] وهكذا تحولت أحلام بني حفص في السيطرة على المغرب من مجرد فكرة إلى مشروع سياسي عسكري فعلي .

1 – جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر : محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية ، منشأة المعارف، د ط، 1999، ص 315.

الفصل الأول :

تنظيم الجيش البري في بجاية الحفصية .

المبحث الأول : دوافع تأسيس الجيش في بجاية

المبحث الثاني : أصل الجيش

المبحث الثالث : العناصر المكونة للجيش

المبحث الرابع : تعداد الجيش البجائي

المبحث الخامس : لباس الجيش و مصادر تموينه

الفصل الأول: تنظيم الجيش البري في بجاية الحفصية .

يعتبر تنظيم جيش من أسس تشكيل القوات البرية في مدينة بجاية خلال الفترة الحفصية وهي حقبة مهمة من تاريخ المغرب الأوسط تحت حكم الدولة الحفصية القرن 13م – 16م ، يسلط هذا الفصل الضوء على البنية التنظيمية للجيش ، و أهم أدواره العسكرية إلى جانب دور القيادة العسكرية ومكانتها في السلطة السياسية .

المبحث الأول : دوافع تأسيس الجيش في بجاية .

نظرا للموقع الاستراتيجي لبجاية وأهميته الاقتصادية والسياسية واجهت بجاية الحفصية في القرنين 13-14 م تهديدات متعددة سواء من القوى الخارجية أو من الداخل فقد كانت عرضة لهجات متكررة من القوى الأوروبية خاصة الإسبان الذين كانوا يسعون للسيطرة على الموانئ والسواحل المغاربية كما نجد أن المنطقة شهدت صراعات داخلية بين القبائل مما هدد استقرار الحكم الحفصي فيها و أمام هذه الظروف وجدت الدولة الحفصية نفسها مضطرة إلى تنظيم نظام عسكري محكم في بجاية بهدف تأمين المدينة والدفاع عنها وضمان استمرار سيادتها و مكانتها في المنطقة .

فعن اختيار موقع مدينة بجاية يقول الحموي : "مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 457هـ ... كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت مدينة ... وكان السبب في اختطاطها أن تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية أنفذ إلى ابن عمه الناصر بن علناس محمد بن البعبع رسولا لإصلاح حال كانت بينهما فاسدة فمر ابن البعبع بموضع بجاية وفيه أبيات من البربر قليله فتأملها حق التأمل فلما قدم على الناصر غدر بصاحبه و استخلى الناصر ... وأشار عليه ببناء بجاية و

استركبه وأراه المصلحة في ذلك والفائدة التي تحصل له من الصناعة بها وكيد العدو ، فأمر من وقته بوضع الأساس و بناها و نزلها بعسكره ".[1]

أي أن الناصر بذاته هو من أشرف على بناء بجاية بصحبة ابن البعبع ، و قد كان لموقع بجاية أيضا مزايا متعددة من الناحية الأمنية ملجأ حصينا .

كما يقول ابن الأثير :"أمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل"[2] حيث نرى بأن سرعة البناء متعلقة بغياب الأمن في المنطقة ودليل أيضا على وجود تحولات هناك ، حيث أنه في مدة سنة فقط تحولت من قرية صغيرة إلى عاصمة الدولة .[3]

كما يشير أيضا صاحب كتاب الاستبصار إلى حصانة المدينة حيث كانت محمية برا وبحرا، و مبنية على جبل صعب الوصول إليها، و هذا في قوله : " مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في ثلاث جهات: في الشرق والغرب والجنوب ولها طريق بالمضيق على ضفة النهر. [4] المسمى بالوادي الكبير، وطريق القبلة إلى قلعة حماد على أعقاب وأوكار.

وكذلك طريقها إلى الشرق، وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب ، فلم يكن للعرب إليها سبيل، ولكن يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لممانعة على بلاد القلعة وغيرها فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر... فإن بجاية على خطر كبير وقائد عظيم، وبجاية معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى مسيون، وعليها سور عظيم، والبحر يضرب فيه [5] إلى مدينة بجاية شكلت من الناحية الأمنية ملجأ حصينا ضد الهلاليين فجهتها بعيدة عن مجال تحركاتهم نظرًا لأهمية الحواجز الجبلية[6]، وقد حدد لنا الإدريسي هذا المجال بقوله : "مدينة بجاية قطب الكثير من البلاد،

---

1 – الحموي ، المصدر السابق، ص339.

2 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1387 /1957 ،. ص 48 .

3 – صالح بعيزيق، المرجع السابق ص 55.

4 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 129.

5 – المصدر نفسه، ص 130.

6 – صالح بعيزيق ، المرجع السابق ، ص 59.

وذلك أن من بجاية إلى إيزاجان بوم و بعض يوم ، ومن بجاية إلى يلزمه مرحلتان وبعض ومن بجاية إلى سطيف يومان، وبين بجاية وباغية ثمانية أيام، وبين بجاية و قلعة بشر أيام ، وبين دور مدينة وبجاية إحدى عشرة مرحلة، وبين بجاية والقصرين تسعة أيام ، و بين بجاية وطبنة سبع مراحل"[1].

كما كان لموقع بجاية مزايا متعددة حيث شكلت من الناحية الأمنية ملجأ حصينا ضد الهلاليين ، فجهتها بعيدة عن مجال تحركاتهم وهذا راجع إلى أهمية الحواجز الجبلية. ونجد أيضا أنه من الناحية الاستراتيجية استجاب الموقع لبعض الأسس التقليدية لاسيما عند الحماديين فكما كانت القلعة واقعة على جبل عجبيسة ومحمية به فإن الأمر نفسه إلى بجاية بوقوعها على جبل أمسيون (غورايا حاليا) [2] وفي نفس الوقت نجد أن بجاية تبدو أقرب القرى الساحلية أنذاك إلى القلعة ، ونجد أن موقعها في طلب الدولة الحمادية أي أنه لا توجد أطراف معرضة للأخطار لا سيما الأطراف الغربية وخطر الزناتة ، ومزية أخرى تتمثل في مراقبة الشرق والغرب بسهولة ، و من الناحية البشرية تقع بين قبائل بربرية من صنهاجة على استعداد للدخول في تعود الحماديين مثل قبيلة بجاية وتلكاتة[3] من بطون صنهاجة، وقبائل زوارة سدويكتش من كتامة من البرانس وهي قبائل استقرار و مدر.

و من هذا نجد أن الموقع الاستراتيجي للمدينة الساحلية لا تقتصر قيمته فقط بمجرد قربه من البحر ، بل أيضا في موقعه الممتاز الذي يمكن التحكم في الأقاليم المجاورة و توفر المواد المطلوبة للتجارة خاصة بالنسبة لتجار الأوروبيين وذلك بفضل اتصاله بالطرق الداخلية .

لكن بعد أن وطد أبو زكرياء يحي الأولى (594 -647 هـ) دعائم الدولة بتونس قام بتوسعات نحو الغرب فتنازل بجاية وفتحها سنة 626هـ/1229م ، ويزيح واليها الموحدي بسهولة غير أن ضعف الوجود العسكري الموحدي بها لبعدها عن مراكش و القوة الحفصية الجديدة

1 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 261 .

2 - صالح بعيزيق ، المرجع السابق ، ص 59.

3 - المرجع نفسه ، ص 59.

بعصبتيها أسباب سهلت الدخول إلى المدينة وبعث بواليها رفقة والي قسنطينة إلى المهدية وأجريت عليهم الأرزاق .[1]

المبحث الثاني : أصل الجيش

لقد مثلت مدينة بجاية خلال العهد الحفصي مركزا استراتيجيا ذا أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية خلاصة خلال فترات الانقسام أو التنافس على الحكم بين تونس و بجاية الذي نشأ في سياق تأمين استقرارها الداخلي والخارجي، التي بدورها تدافع عن حدودها البرية والبحرية خاصة بعد انهيار الدولة الموحدية و استقلال الحفصيين بالحكم، كما تكون الجيش من عناصر متعددة شملت القبائل البربرية المحلية والعرب الوافدين إضافة إلى المماليك كما استعانت السلطة بالمرتزقة في فترات التوتر، بحيث يظهر هذا التعدد في براعة الحفصيين في استقلال الموارد البشرية في بناء جيش يخدم مصالح الدولة.

إن الجيش الحفصي يعتبر النواة الأولى والأساسية المنبثقة من الجيش الموحدي الذي يعتبر ورثته في إفريقيا[2] ثم الأعراب من القبائل الموالية للسلطة الحفصية في بلاد إفريقية إضافة إلى الجيش الإفرنجي والملقب بالعلوج[3]، دون أي تغيرات جوهرية بحيث أنه لم يكن هناك تنظيم دقيق له، وكان يتبع الشيخ عبد الواحد الذي عين واليا على إفريقية باسم خليفة مراكش[4]، و هذا راجع إلى حنكته السياسية وتمرسه العسكري من طرف الخليفة الموحدي الناصر سنة 603هـ/1206م بعد النصر الذي حققه فقبل بشرط أن يوفر من يراه الأصلح من رجاله وما يستحكم صلاحها بشرط أن تكون فترة حكمة لا تزيد عن ثلاثة سنوات ليكون هذا التعيين بمثابة النواة الأولى لاستقلال بني

1 -ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 382.

2 - روبار برنشفيك، مرجع سابق ، ج 2 ، 1988 ، ص 75.

3 - العيد غزالة، المرجع السابق، ص 57.

4 - روبار برنشفيك ، المرجع نفسه ، ص 75.

حفص بإفريقية وانفصالهم عن الدولية الموحدية عام 625 هـ / 1228م.[1] في عهد الأمير أبي زكرياء يحيي (626-647 هـ/ 1228-1249 م) .

كما نجد أيضا أن فترة حكم الدولة الحفصية دام لأكثر من ثلاثة قرون من 1229 م إلى 1574 م و تعاقب على حكمها 25 سلطانا[2] ، بدءا بأبي زكرياء الحفصي وصولا إلى مولاي محمد[3] حيث نجد أن الغبريني عاش في فترة الأحداث التي مرت ببجاية وعلى الخاصة بالمغرب الأوسط [4]عامة ، وشهد فترة حكمهم بتغيرات تراوحت بين الاضطراب
و الاستقرار، كما ألحق الحفصيون بجنودهم " الموحدين في وقت مبكر قوات عسكرية من مصدر آخر مجندة داخليا وخارجيا حيث نجد أن الموحدين الموجودون بإفريقية عارضوا إنشاء جيش من غير وجودهم لأنهم يعتبرون العنصر الأساسي لتكوين الجيش الحفصي .

ويعود أصل الجيش في معظمه من الجنود التابعين للقبائل والمتغير عددهم وهذا راجع إلى تشعب العلاقات بين الحكومة والقبائل. وقد ذكر لنا ابن فضل الله ذكر لنا مصدرين مهمين عن أوضاع الجيش في ذلك الوقت المصدر الأول نقله ابن سعيد في القرن الثالث عشر أما المصدر الثاني ورد به أحد المخبرين في القرن الموالي [5] كما نجد أيضا استعمال حركة الاسترداد المسيحية في الأندلس و ادعاء بني حفص بشرعية خلافتهم للشروع الموحدي لفضلهم و سابقتهم ونسبهم العربي الشريف.[6] وهذا راجع إلى استقلالهم لما فعله المأمون الموحدي من إنكار لعصمة المهدى والأمر بلعنه وإذلاله لشيوخ الموحدين.[7]

1- ابن خلدون – المصدر السابق ، ج 6 ، ص 381.

2- ابن الشماع ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب ، تونس، 1980، ص 139- 140.

3- روبار بروشفيك ، المرجع السابق ، ص 54-55.

4- الغبريني، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : عادل نويهض ، ط 2 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1979 ، ص 10.

5- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 76.

6 – بريكة مسعود، المرجع السابق، ص 46.

حيث ذكر ابن خلدون في كتابه " غير أصول الدعوة وبدل أصول الدولة ".[1] أي أنه من أسباب سقوط الدول أو زوالها أن الحكام أو من يتولون الحكم بعد المؤسسين يقومون بتغيير أصول الدعوة أي أنهم يتخلون عن المبادئ التي أسست عليها الدولة في بدايتها و تبديل أصول الدولة أي أنهم يغيرون النظام السياسي والإداري الذي حافظ وقوة الدولة .

ويستبدلونه بنظام أكثر فسادًا أو ظلما مما يؤدي إلى ضعف وسقوط الدولة ، وهذا ما أغضب أنصار المهدي والمتشيعين لدعوته واتخذت كدريعة لأبي زكرياء يحي ليعلن خلع دعوة الموحدين والخروج من خليفتهم سنة 626 هـ / 1229.[2]

تعد المسؤوليات والمهام الكبرى في الدولة التي تتمثل في القيادة الصحيحة في التفات القائد إلى أمور المختلفة ، بالإضافة إلى أن القبائل الموحدية شلكت الركيزة الأولى إضافة إلى القبائل الأخرى سواء كانت عربية أو بربرية و بالإضافة أيضا إلى تشكيلات من الأفارقة والمشارقة والأندلسيين وعدد معتبر من النصارى الذين أسلموا من الموالي والعبيد ، غير أن بعضهم وصل إلى القيادة الخاصة خاصة خلال القرن 8 هـ / 14م .

من الصعب تحديد المعايير التي يتم على أساسها اختيار النخب العسكرية في الدولة، لأن البيانات المتوفرة حول هذا الموضوع محدودة ، ولهذا يصعب علينا معرفة الكيفية التي يختار بها القادة العسكريون و مدى تأثير المؤهلات والخبرات في تعيينهم ، كما أن القادة غالبا ما يأتون من خلفيات اجتماعية و ولاءات سياسية متنوعة ، يكون مرتبطا بالولاء للنظام أو الزعيم الحاكم، والبعض الآخر بعلاقتهم مع جهات خارجية [3] إذ فهي تنقسم إلى ثلاثة أسر وأصناف وهم :

حيث نجد الصنف الأول يتكون من قيادات ذات الولاء المذهبي و السياسي المفتخرة بإنجازاتها السابقة لأباءها و أجدادها المتمثلة في المشيخة الموحدية التي تجمع بين القيادة الإدارية كولاة و

---

7 – ابن خلدون، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 381.

1 – المصدر نفسه . ج 6 ، ص 381 .

2 – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 341.

3 – بربكة مسعود ، المرجع السابق، ص 284 .

العسكرية كقادة عسكريين لبجاية حين تميزا بقوة نفوذهم و المطلق للسلطة المركزية هم ورغبتهم في القضاء على الثورات التي قادها شيوخ القبائل كما هم بدورهم ينقسمون إلى أربعة أصناف.

21 % من مجموع القادة الذي برز من بينهم الشيخ أبوهلال عياد بن سعيد الهنتاتي (حقم 660 هـ - 673 هـ / 1262 - 1275 م) الذي قضي على الثورة الجزائرية سنة 671 هـ/ 1272م) والذي وفته المنية وهو عائد من تلك المهمة. كما خلفه ابنه محمد بن أبي هلال (حكم 673-678هـ / 1275-1279 م) حيث أنهم كانوا يقومون بتعيين مباشرة السلطان الذي يعتبر القائد الأعلى للجيش والمسؤول الأول عن العمليات العسكرية مساعدًا من وزير الجند ، الذين يتمتعون بالروح العسكرية العالية والولاء لسلاطينهم ، حيث أنهم دعموا بجيش بري و بحري حسب ابن خلدون من أجل محاربة الخارجين عن السلطة الذي يأتي من السلطان.

غير أن الصنف الثاني من القيادة ظهر في قيادة عسكرية محلية ما يقارب 14 % فقط لأكثر من نصف قرن الذي تميزت كقيادة عسكرية بحرية وبرية و تمثلت في زيد بن فرحون و محمد بن أبي مهدي من 470هـ /1339م إلى 805 هـ / 1402 م. وهو الصنف الذي استطاع أن يصنع لنفسه مكانة محلية وقضاة دوليا .[1]

أما بخصوص الصنف الثالث الذي سيطر طيلة القرن 9هـ/ 15 م بروز قادة عسكريين تمكنو من فرض سيطرتهم على مقاليد الحكم في القيادة العسكرية لبجاية حيث نجد أنه من مجموع 14 قائد كان منهم 8 من الموالي أي بنسبة 58 % ، حيث جمع بعضهم على هيمنة مفاصل الإدارة والجيش فنجد منهم ظافر السنان الذي يعتبر قائد على عسكر بجاية وكان دوره في القيادة مساندة الوالي أبي زكرياء سنة 733 هـ / 1332 م و كذلك ظافر الكبير الذي يعتبر من قادة بجاية و مهمته الوشاية بالغبريني.

1 - بريكة مسعود، المرجع السابق ،ص 84 ، 85.

أبو النعيم رضوان يعتبر من الموالي وظيفيه والي القائد المعتمد حيث عين خلفا للأمير المعتمد الذي طمع في ولاية العهد سنة (833هـ / 1429 م) [1]، و آخرون الذين عينوا كوصايا على بعض الخارجين وطلاب العرش من الحفصيين والفضائل التمرات القبائل . و صد التحرشات المرينية على بجاية حيث أنهم أظهروا ولائهم للمركز حيث لاحظ الوزان في القرن 10هـ / 16م، أنهم لم يعد و فقط حراس السلاطين بل مارسوا مهن أخرى أفضل من أهل المنطقة.

كما يتركب الجيش الحفصي أيضا من جنود معظمهم من التابعين للقبائل والمتغير عددهم الغاية حيث يدل على تشعب العلاقات بين الحكومة والقبائل وتغلب الأوضاع السياسية حيث نجد تنوع كبير في طريقة التجنيد من حيث المبدأ فإن القبائل المعترفة بالسلطة الحكومية تقبل إمدادها بالإعانات العسكرية . غير أن المساعدات المفروضة بالقوة أو يطيب خاطر مقابل المرايا المادية ، كالتنازل عن الضريبة والفوائد العقارية كانت متفاوتة من حيث المجندين ومدة الخدمة العسكرية العادية إضافة إلى أنها لم تكن قارة بالنسبة إلى عدد كبير من الخاضعين للسلطة حيث نجد أن تعداد قبائل المخزن في الوقت السلم كما في وقت الحرب.[2]

غير أن القبائل المستوطنة في المناطق المطابقة للبلاد الطرابلسية والبلاد التونسية كانت تحتل مكانة زهيدة في الجيش الحفصي. كما نجد أن قبيلة المرنجسية الذين أجبرهم الفاتحون على تقديم عدد من الجنود قد أصبحوا خاضعين إلى سلطة الأعراب بني سليم إضافة إلى أن السلطان الحفصي الأول أبو زكرياء قد دعا الهواريين المستقرين في مرتفعات تونس الوسطى إلى إمداده بعدد

1 – بريكة مسعود، المرجع السابق ، ص 285 .

2 – البربر : أم أعجمية من أقدم أمم العالم وأشهر أجياله و لقد اختلف المؤرخون في نسبهم اختلاف كثير ، تذكر بعض الروايات أنهم من العرب ومن ولد سام ابن نوح عليه السلام ينظر : يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تح : عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المكتبة الوطنية ، دط ، 1980 م ، ج 1 ، ص 178.

من الجنود . كما نجد أن الحفصيين وبالخصوص في بجاية قد استخدموا جنود و جيوش البربر[1] التابعين لمنطقة قسنطينة ،كما قبيلة سدويكش و ولهاصة و بالخصوص صنهاجة.[2]

كما نجد عناصر بربرية قادمة من المناطق الغربية النائية خارج الحدود الإفريقية كقبائل زناتة الذين اتخذوا موقفا مناهضا لبني عبد الواد في تلمسان، لهذا تعاون بنو توجين مع أبي زكرياء والمستنصر، وبعد حوالي اثنتي عشرة سنة لجأوا إلى تونس واستقروا بها واحد منهم وأصبح من الجنود المخلصين لسلاطين بني حفص ، كما نجد أيضا تخالف قبائل مغراوة مع أبي زكرياء كانوا حوالي 350 شخص من قبيلة زناتة وقد سجنوا من قبل الدعي الفضل إثر دخوله إلى تونسي سنة 1283 و لكن في سنة 1307 عندما طردوهم و أمير زناتة الخروج من تلمسان وضع نفسه هو وجنوده في خدمة أمير بجاية الحفصي أبي البقاء.[3] كما نجد أيضا بعض الأمراء المتصاهرين مع الأسرة المالكة في تلمسان أو فاحر وفرو من بلادهم لأسباب سياسية متوجهين مع جنودهم إلى بجاية أو تونس.

خلال القرن الموالي في عهد أبي بكر بعدما توقف المريني عبد الحق بن عثمان في بجاية استقر عدة سنوات في تونس على رأس جيش من الخيالة و المشاة ، كما نجد أن هناك مساهمة عسكرية أخرى وهي مساهمة الأعراب الرحل في إفريقية فينبغي وصفها في المقام الأول من حيث العدد والقيمة الفعالة لا سيما في أواخر القرن الثالث عشر خلال القرن الرابع عشر عند ضعف الموحدين في إفريقية ، و تأكيد تدخل الأعراب في شؤون الدولة الحفصية. ومن بين الأعراب نجد الدواودة والكعوب وبني حكيم في الثورات الداخلية أو الحروب الخارجية.[4]

---

1 – سدويكش: ديارهم مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية في البسائط منها ولهم بطون كثيرة ...ينظر ابن خلدون ، العبر، ص 159 – 160.

2 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 76.

3 – المرجع نفسه، ص 77– 78 .

4 – المرجع نفسه، ص 78.

المبحث الثالث : العناصر المكونة للجيش

مثلت مدينة بجاية خلال العهد الحفصي واحدة من أهم المراكز العسكرية والسياسية في المغرب الأوسط ، مما جعل تنظيم الجيش فيها يحظى بأهمية بلغة، وقد عكس تكوين الجيش الحفصي في بجاية طبيعة المجتمع و توازنات السلطة أنذاك، حيث ضم عناصر مختلفة من حيث الانتماء والوظيفة التي ساهمت في تعزيز قوته فقد اعتمدت السلطة على الجنود النظاميين المكونين من فرسان القبائل الأمازيغية لما لهم خبرة ، إضافة إلى العرب الذين شاركوا في حفظ النظام .

كما استعانوا كذلك بجنود المرتزقة من دول أوروبية و إفريقية مما أضفى على الجيش طابعا متعدد الجنسيات، وإلى جانب الفرسان القبائل المحلية هناك و حدات المشاة والرماة، المختلفة التي كانت تخضع لقيادة عسكرية دقيقة لضمان فعالية الأداء في الحروب و المعارك ، وبهذا نجد أن الجيش تكون من عدة فئات أبرزها :

في بداية الأمر يجب أن نشير إلى الجنود المتطوعين المحترفين الموجودين في العاصمة والذين وصفهم ابن فضل الله ، وهم مسلحون بالسيوف و الدروع و محيطون بالسلطان و المجهزون بكل اللوازم في خرجاته سواء في رحلاته أو الحملات العسكرية الذين كان يطلق عليهم اسم عبيد المخزن غير أنه رغم نفود السلطان الحفصي على الحرفيين في المدن لم تكن تضم مفهوم العبيد بل كانت تشير إلى الطاعة المطلقة الواجبة للحكومة .[1]

كما نجد أن هؤلاء الجنود كانوا يدعون للمشاركة في الخرجات الرسمية أو في الدفاع عن المدينة و نجده يقتصر في وجوده داخل المدينة فقط ، أي أنه لا يشارك في الحملات العسكرية خارج المنطقة إلا في الظروف الحتمية مثل عمليات نزول النصارى في السواحل .

كما نجد أن سكان المدن يهبون نفسهم على اختلاف أصنافهم من أجل التطور للجهاد و الانضمام إلى الجيش السلطاني كما نجد أن الحفصيين في غالب أمرهم دائما يسعون من أجل تعزيز جنودهم وتقوية ركيزتهم وذلك من خلال مدهم بالوحدات المسلحة .

---

1 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 79.

إضافة إلى ذلك نجد مجموعة من المقاتلين يستقدمون من خارج البلاد أو من عناصر غير عربية كالأندلسيين أو بعض الأتراك ، وقد كانت لهم مهام خاصة في الجيش و هذا راجع إلى خبرتهم أو كفاءتهم في القتال .[1]

كما يذكر لنا العمري في كتابه "مسالك الأمصار" أنه سأل الإمام أبا عبد الله بن القوبع عن طبقات الجند الحفصي فقال له : "متكون من الموحدين والأندلسيين و من قبائل العرب و قليل منهم ممن هرب و أقام عندهم في مصر و الفرنج هم خاصة للسلطان يقال لهم العلوج لا يطمئن إلا لهم ".

و نجد أن أنواع الجند الأندلسي تكون من فرسانا و رجالا ورماة ، غير أن هذا النوع من الجند مختص بالرمي بالنشب أي السهام ويعرف بالمدافع وهو من أمهر أنواع الجند ، فحسب العمري يذكر لنا أن عدد الفرسان في الجيش الحفصي بلغ حوالي 10000 فارسا ،[2] ونجد أيضا العنصر الأندلسي تولى مناصب عديدة خاصة في مؤسسة الديوان و القضاء الحجابة و بالرغم ما تقره لنا المصادر بوجود جند أندلسي نظامي مشارك مع الجند الحفصي إلا أنه لم يزودونا بأسماء من الأندلسيين الذين تولوا هذا المنصب ، غير أن المصادر لا تنفي وجود المهاجرين الأندلسيين الذين اشتغلوا في مناصب الجيش حيث يذكر لنا ابن خلدون كيف انضموا إلى صفوف الجيش .[3]

وبهذا نستنتج أن العنصر الأندلسي شارك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تقوية صفوف الجيش الحفصية وهذا بالدفاع عن الدولة الحفصية، كما لا بد من لنا أن نشير إلى امتداد حضور الجنود الشرقيين في الجيش الحفصي لفترة زمنية أطول نسبيا إذ أن كان هذا الجيش كان يضم منذ النصف الأول من القرن 13 م مجموعة من جنود الغزو أو التركمان الذين ظهروا في المغرب قبل ذلك بنحو نصف قرن خلال عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (ت 1184 م) و نجد أنهم قد

1- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 80.

2 -العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تح : كامل سليمان الحيوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 4 ، 2010 ، ص 75 -77.

3 -العيد غزالة ، المرجع السابق ، ص 65.

استقر الكثير منهم في المغرب الأقصى لفترات طويلة غير أن أثرهم في إفريقية عامة فقد بدى محدودا إذ أنهم تفرقوا وتوزعوا ولم يعرف الكثير عن ذريتهم واستمرار وجودهم .[1]

ومع مرور الزمن انضم إلى الجيش الحفصي جنود شرقيون جدد في خدمة السلاطين حيث يروى أن أبا زكرياء الأول (حكم تونس 1229 -1249 م) اقتنى من مصر 1000 فارس من المماليك الأتراك وصفوا بأنهم من خاصة المماليك الأتراك مما اتسموا به من خصائص و صفات مميزة ، كما يشر أيضا إلى مهاجرة مجموعة من القادة الأكراد إلى شمال إفريقيا في أعقاب سقوط بغداد سنة 1258 م و استقروا هناك سواءا برغبتهم أو بسبب الظروف السياسية ، غير أن أثرهم بقي موجود لعدة قرون إذ ظل وجودهم ملاحظا في الجيش الحفصي إلى غاية القرن الخامس عشر ميلادي .[2]

وفي الأخير نجد عنصر العبيد ، فلا يجوز الخلط بينه و بين المرتزقة الأحرار الذين انتموا للإسلام لاحقا حيث نجد أن هؤلاء معظمهم من قدماء الرقيق المعتقين حيث أنه تم الالتحاق بصفوفهم عدد كبير من القوى فنجد أبو زكرياء الأول كان يعتمد على مجموعة من قدماء العبيد من أصول أوروبية حيث نجد أن ليون الإفريقي ذكر في أوائل القرن السادس عشر : " يتصرف ملك تونس في ألف وخمسمائة فارس معظمهم من النصارى المرتدين " .

أي أنه هناك أعداد كبيرة منهم ارتقوا إلى مناصب مهمة وبلغوا مراتب عسكرية و إدارية متقدمة و قد اسهم هذا التنوع في تكوين نواة صلبة للانضمام السياسي الذي تطور في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، وقد اسهم في بناء الدولة الحفصية القائمة على أسس تنظيمية دقيقة جعلت منها كيانا قويا على مدى القرون .[3]

1 -ابن خلدون، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 432.

2 -روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 80.

3 -المرجع نفسه ، ص 82.

المبحث الرابع : تعداد الجيش البجائي في الدولة الحفصية

بالنسبة إلى العدد الإجمالي للجيش الحفصي لا يوجد رقم واضح ولا معطى تاريخي لمسألة العدد ، خلال الحكم الحفصي غير أن المؤشرات السياسية والعسكرية توحي بوجود جيش معتبر من حيث العدد و هذا راجع للأدوار الدفاعية والردعية التي اضطلع بها حيث نجد أن والي بجاية كان يتمتع بقوة عسكرية تدعمه وعند الحاجة والمتركبة من قوة برية وأخرى بحرية .[1]

وذكر ابن خلدون في إشارته الجيش البري حينها تحدث على ثورة ابن الوزير: " وزحف إليه الأمير أبو فارس من بجاية في عساكره واحتشد الأعراب وفرسان القبائل ..."[2] ،و منه نفهم أن جيش بجاية كان متكونا من عساكر دائمة تنضم إليها فرق من المليشيا المسيحية التي وجدت في عهد أبي زكرياء الأول (1229/626 – 1249/647) جنود مسيحيون مرتزقة و ينبدو أن فرقا أخرى وزعت على بونة وبجاية .[3] كما نجد أيضا أن الجيش كان بالغ الأهمية عند الأمراء كما نجده أيضا متنوع العناصر ووافر العدد والعتاد الذي كان بدوره مكلف بالسهر على أمن الأمراء و البلاد.[4] وكذلك يجدر بنا الذكر أنه كان هناك جيش خاص بالأمير مجموعة تعرف بـ" أصحاب النفير" هؤلاء كانوا يرافقون الأمير في رحلاته داخل وخارج العاصمة ويهتمون بكل ما يخص راحته، كتنظيم الطعام والشراب وكتابة الوثائق وغيرها من المهام. وينقسم الجيش القسمين:

أ. **جند ملكي** : هم حرس خاص بالأمير يتكون من فرقة للفرسان ، أغلبهم من المسيحيين ، ومن فرقة للمشاة تنوعت عناصرها ،حيث كان بعضهم من أصول إفريقية (سود) أو من الأتراك أو من الأوروبيين ،كانوا مميزين في البلاد بملابسهم الأنيقة و هيئتهم المرتبة .

ب. **جند نظامي** : يتكون من المشاة والفرسان ، جل إطاراته من الحفصيين والموحدين وعناصره

1 – صالح بعيزيق ، المرجع السابق ، ص 101.

2 – ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 686.

3 – صالح بعيزيق ، المرجع السابق، ص 101.

4 – أحمد عامر، الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1974 ، ص 37.

من البربر الذين يخدمون مقابل إعفائهم من الضرائب أو للحصول على رواتب و قد ساهموا في حفظ الأمن من داخل البلاد.[1]ونجد أن هذا النوع من الجنود لم يكن له عدد محدد بل يزداد وينقص حسب الحاجة والظروف، وكانوا يظهرون بشكل واضح في الأزمات أو عند وجود تهديد أمني . فمن الصعب تحديد عددهم المتغير

إلى أقصى حد ، حيث أنه لا يمكن الجزم بالمعلومات الواردة هنا و هناك في المصادر المكتوبة من غير تحفظ .[2]

غير أن الجيش السلطاني أثناء قيامه بالحملات العسكرية في أيام الدولة الحفصية ، بعض عشرات المئات من الجنود الذين أغلبهم تجدهم من الرحل حيث نجد أن خلال بداية القرن الثالث عشر و النصف الأول من القرن الرابع عشر يتقلص عدد الجنود وهذا راجع إلى الانقسامات والحركات الارتدادية التي أضعفت السلطة المركزية فأصبح الجيش لا يعد سوى أقل من عشرة آلاف فارس حسب ابن فضل الله الذي جاء بالخبر من أحد المخيرين الإفريقيين .[3] هذا ما وضحه ابن خلدون في قوله:" إننا أدركنا دولاً قليلة العساكر، لا تنتهي في مجال الحرب إلى التناكز بل أكثر الجيوش من الطائفتين معا يجمعهم لدينا حلة أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه وينياديه في حومة الحرب باسمه ولقبه" . أي أنه يبين لنا أن جيوشها قليلة العدد لكنها برغم من ذلك أثناء القتال لا تصل إلى الفوضى بل كانت منضبطة و منظمة.

وغالبا ما يكون الجنود من نفس المدينة أو القبيلة لدرجه أنهم يعرفوا بعضهم البعض حتى أن كل جندي يعرف من يكون بجانبه.

أما بالنسبة فيما يخص الجيش الأندلسي فالمعلومات شحيحة و تكاد تكون نادرة في تناول عدد الأندلسيين الذين شاركوا في حملات الجيش الحفصي .

1 -أحمد عامر، المرجع السابق ، ص 38 ، 39.

2 - روربار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 90.

3 - المرجع نفسه، ص 90.

غير أن ابن خلدون ينفرد بذكر عدد الأندلسيين الذين شاركوا في الحملة الصليبية سنة 1270/668 والذين بلغ عددهم قرابة 4000 فارس من الرماة ، ويفيدنا أيضا ابن الشماع بذكر أنواع الجند "فرسانا و رجالا ورماة .[1] دون التفصيل في عدد الجيش ولا عدد الأندلسيين من الرماة الذين شاركوا في الحرب غير أنه استعمل مصطلح جموع غفيرة[2] ،أي أنه ربما حوالي 36 ألف جندي كما يبين لنا ابن الشماع عن وجود 1000 فارس يقفون عند باب السلطان لحمايته ،كما يمكن أن يكونون من الأندلسيين أو من جنود الأتراك الذين تم جلبهم من مصر.

كما يذكر لنا الزركشي عدد 50 فارسا من الرماة سنة 717 هـ /1317 م إضافة إلى ما ذكره لنا ابن بطوطة عندما ذكر لنا أنه يوجد أكثر من 100 فارس من الرماة في حامية قابس سنة 726 هـ/ 1325 م .[3] في قوله: " ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس و صحبنا في بعض المراحل عليها نحو مائة فارس أو يزيدون ..." ، كما نجد أن هذا النوع من الجند مختص في رمي النشاب أي السهام الذي يعرف بالمدافع والذي يعتبر بدوره من بين أمهر و أشجع أنواع الجند والذي يبلغ بدوره عدد الفرسان حسب العمري 10000 فارس في صلب الجيش الحفصي.[4]

المبحث الخامس : لباس الجيش وتموينه

المطلب الأول : لباس الجيش

ليس سهلا البحث في موضوع لباس الجند أو الزي العسكري الخاص بهذه الفئة في العهد الحفصي و هذا راجع إلى قلة النصوص التاريخية التي جاءت على ذكر ذلك حيث يتميز غالبا بتنظيم محكم كما نجد أن اللباس العسكري للجنود تميز بطابعه الوظيفي و الموحد المناسب للظروف القتالية الذي ساهم بدوره في إظهار الانضباط والهيبة.

1 – ابن الشماع ، المصدر السابق ، ص 72.

2 – المصدر نفسه ، ص 73.

3 – العيد غزالة ، المرجع السابق ، ص 57- 58.

4 – المرجع نفسه ،ص 58.

نجد أن لباس أهل بجاية يختلف من شخص لآخر وذلك يتوقف على الحالة المادية لكل فرد، فالأمراء كانوا يتزينون بأفخم اللباس مثل المطرزة بالذهب ولباس الخز الذي يميل لونه إلى الخضرة وإلى السواد .[1] كما نجد أيضا أن عبيد المخزن كان لهم مكانة خاصة في البلاط و يخصصون لهم زيا واحدا يرتدونه كما أوضح ليون الإفريقي أن رجال البلاط والجنود يضعون على رؤوسهم العمائم لكنهم لا يتركوها مفتوحة .[2]كما تميز لباس البلاط والجنود عادة عن لباس الناس والرعية مثل: العمائم الصفراء والثياب المفصلة من أنسجة الجوخ والصوف والقطن .[3]

وتستمد أيضا من خلال ما ذكره لنا الإدرسي بقوله : "أن سكانها أغنياء وصناعها ماهرون خاصة في صناعة الأسلحة والمصنوعات الجلدية"[4]، أما بخصوص الأحدية فقد كان القواد والجنود النظاميون ينتعلون الجزمات أثناء الحملات الحربية.[5]

بخصوص الراية التي كان يستعملها الجيش لم توثق بدقة في المصادر التاريخية ولا كن حسب ما هو معروف عن الدولة أن اللون الرسمي هو الأبيض و هو مستمد من التقليد الأموي الذي يستخدم أيضا في المناسبات الرسمية و نجدها ربما كانت تتضمن عبارات دينية أو رموز تعبيرية.

المطلب الثاني :مصادر تموين الجيش .

كانت الضرائب والمغارم التي تفرضها السلطة على الرعية إحدى المصادر الهامة التي تمول خزينة الدولة الحفصية نظرًا لارتباطها الوثيق باقتصاد الدولة خاصة في الظروف العسيرة كظروف الحرب حينما تكون الدولة في حاجة إلى مزيد من الأموال من أجل عطاء الجند وتجهيز الجيوش.

1 – أحمد عامر، المرجع السابق ، ص 38-39.

2 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 293.

3 – المرجع نفسه، ص 292.

4 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 261.

5 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 293.

أ. الضرائب

تعتبر الضرائب[1] جهاز مالي أساسي في الدولة، فهي دعم قوي لبيت المال (الخزينة)حيث تنقسم الضرائب هي بدورها إلى نوعين النوع الأول ضرائب شرعية ، يتم تطبيقها بموجب الشريعة الإسلامية فهي تشمل النظم الشرعية المتعارف عليها مند عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالخراج[2] والجزية[3] ، الزكاة .[4] الفيء والعشور[5] وخمس غنائم[6] أما النوع الثاني يعتبر من الضرائب المستحدثة أو الإضافية التي ظهرت بأسس جديدة نجد منها ، ضريبة الأرض والمحاصيل الفلاحية ، ضريبة التجار (البرية والبحرية) وسميت أيضا (برسوم جمركية)حيث انتشر هذا النوع من الضرائب في الأسواق والدكاكين والمدن المحصنة بأسوار شديدة حيث تجمع هذه الضريبة بأسلوب معكوس لهذا أطلق عليها اسم "المكوس ".

ونجد أيضا ضريبة الإجازة وهي عبارة عن رسم يدفع مقابل حراسة الأراضي ، إذ كان سكان المغرب الأوسط يدفعون مبالغ مالية للقبائل العربية للسماح بمرورهم عبر أراضيهم خاصة إذا لم يكونوا مالكيها .

---

1 – الضرائب: هي جمع ضريبة فهي فعليه بمعنى مفعولة ،وهي ما يوضع على الأرض والرؤوس كالجزية والخراج فهي مجموعة من الفرائض المالية التي تجيبها الدولة ، من سكانها وعلى الأجانب الماكثين بها . ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، ج 3 ، ص 522 .

2 – الخراج : ضريبة تفرض على الأرض التي صالح عليها المشركون بمقدار معين من حاصلاتهم الفلاحية أو من أموالهم ، و هذا بمقدار رسمي خراجا . ينظر: بولعسل أحسن ،الضرائب في المغرب الإسلامي مند عهد الولاة حتى سقوط الموحدين ، 96-668هـ/715-1269م، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2013 ، ص 221.

3 – الجزية : هي مبلغ معين من المال يوضع على رؤوس أهل الذمة ينظر : حسين الحاج حسن ، حضارة الغرب في صدر الإسلام ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان ، 1982 ، ص 222 .

4 – الزكاة: أول ضريبة فرضت في الإسلام وهي مورد بشري يقول سبحانه وتعالى:" والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " سورة المعارج الآية 25.24 .

5 – الفيء و العشور : الفيء هو المال الذي يتحصل عليه المسلمين من المشركين من غير قتال، وهو كالغنيمة من حيث القسمة يقسم إلى خمسة أخماس ، أما العشور فهي فريضة تفرض على الأموال التجارية. ينظر : عدي سالم عبد الله حمد جبوري ، دراسات في تاريخ صدر الإسلام، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان، الأردن، 2014 م ، ص 45.

6 –الغنيمة: هي أموال وأملاك يتحصل عليها المسلمين من الكفار بعد القتال ينظر : بولعسل أحسن، المرجع السابق ، ص ص 57، 59 ، 60 ، 61.

كما ظهرت أيضا ضرائب أخرى مثل ضريبة التعذيب وضريبة التعطيل وهي تعني تكاليف إصلاح الأسوار الحصون ، وضريبة الإعانة ، وضريبة خمس الإمام ، وضريبة الغنيمة ، و ضريبة القبالات ، وضريبة الرحل وضريبة المكرى .

كما ظهرت ضرائب تفرض على وسائل النقل و على أصحاب الحرف و المهن إلى جانب نوع آخر وهو ضريبة الحرب و هي التي تفرض نتيجة إنتاج عسكري أو لتكاليف الحرب، و تسمى أحيانا "ضريبة اقتصاد المغازي " حيث ظهرت هذه الضرائب في ظل الأزمات المالية بسبب إسراف الحكام في الترف واللهو، ما أدى إلى توقيع اتفاقات إضافية للحصول على تمويل جديد يضمن استمرارية الدولة وتنفيد مشاريعها ، خاصة ذات الطابع العسكري والجهادي الذي بدوره يتطلب سيولة ضخمة ، لذلك كان الاستغلال الجبائي يتصدر قائمة المداخيل الذي يعتمد عليها الإنتاج الحربي أو اقتصاد الحرب .[1]

وعليه إن كل هذه الضرائب الشرعية أو الغير شرعية كانت من ضمن موارد بيت المال وهي التي تشرف على الأموال الداخلة والخارجة منها في مختلف النفقات سواء اقتصادية أو سياسة واجتماعية .

كما أضافت الدولة الحفصية التي كانت ببجاية العديد من الضرائب الجديدة على أكوارها وأحوازها، كمكوس يسمى بمكس الباب ، إذ تجلس فئة عند أبواب المدن لجباية الضريبة [2]، و مراقبة دخول السلع والبضائع إلى المدن، وكان المشرف هو المسؤول عن جمع هذه الأموال، وعلى استخلاص الضرائب من التجار في الميناء.

كما حافظ الحفصيون على التنظيمات الموحدية من جزية وخراج وغيره من الضرائب الشرعية الإضافية ، وذلك من أجل تموين السلطة الحاكمة والجيش بصفة خاصة.ويجدر بنا الإشارة أيضا : الأهمية التي كانت توليها تلك الجباية إلى الخدمات العينية. حيث نجد أن قسما كبيرا من

1 - أمينة بوتشيش ، المرجع السابق، ص 90-91.

2 - المرجع نفسه ، ص 95.

الضرائب الريفية و الأداءات الموظفة على التجارة حيث كانت تتمثل في نسبة مئوية تقتطع عينا من الإنتاج أو من البضائع المروجة.[1]

حيث نجد أن الإدارة السلطانية مضطرة إلى تخزين تلك البضائع والتصرف فيها و هذه ليست من الصدفة أي أنها مازالت تطلق على تلك الإدارة العبارة "المخزن" ، التي مازالت تستعمل إلى يومنا هذا غير أنها تغيرت في اللغة الحديثة إلى "مغازة" وعلى هذا البناء فقد كان الجيش والبلاط السلطاني لا يصرفون أموال الدولة خاصة بعض المواد، خاصة المواد الغذائية بل إن الحكومة نفسها من كانت تتولى بيع تلك المولد إلا أنها في سنوات المجاعة كانت السلطة تفتح أبوابها و مستودعاتها لتساعد على تغدية الجائعين من المخزونات المدخرة .[2]

و بذلك يتضح أن التنظيم العسكري في بجاية خلال العهد الحفصي كان يتميز بتركيبة متنوعة تعكس التداخل الاجتماعي والسياسي في المنطقة حيث ضم الجيش عناصر من السكان المحليين إلى جانب المرتزقة والأجناد القادمين من مختلف أنحاء الدول الحفصية حيث نجد أن الجيش تمتع بدور محوري في الدفاع عن المدينة وضمان استقرارها في وجه التهديدات الخارجية والصراعات الداخلية كما نجد أيضا أن تعداد الجيش لم يكن ثابتا بل تأثر بالظروف السياسية والاقتصادية ، كما نجد أن لباس الجنود اتسم بطابع تقليدي يعكس الانتماء والوظيفة أما من حيث التموين فقد اعتمد الجيش على موارد الدولة إضافة إلى ما كان يخصص له من أوقاف وأعشار وهذا ما يدل على وجود تنظيم إداري يسهر على تزويد القوات بما يلزمها من مؤونة وعتاد.

1 - روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 70 - 71.

2 - المرجع نفسه، ص 71.

الفصل الثاني : الأسطول البحري في بجاية الحفصية.

المبحث الأول : الموقع الاستراتيجي لبجاية .

المبحث الثاني : التجارة البحرية .

المبحث الثالث : القرصنة البحرية .

المبحث الرابع : العمليات العسكرية التي خاضها الأسطول

الفصل الثاني : الأسطول البحري في بجاية الحفصية.

المبحث الأول : الموقع الاستراتيجي لبجاية .

تقع بجاية على خليج محمي طبيعي مما جعلها ميناء بحريا مهما للتجارة والملاحة بين الشرق والغرب. وكما عرفها ياقوت الحموي بجاية بالكسر ، هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا و المغرب ،كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد ، فموقع بجاية المتميز جعلها مركزا بحريا وعسكريا مهما عبر التاريخ[1].، حيث وفر ميناؤها الطبيعي المحمي بيئة مثالية لرسو السفن وإصلاحها، بالإضافة إلى ذلك وفرت الموارد الطبيعية المحيطة مثل الأخشاب الكثيفة من الغابات والحديد المستخرج من المناطق المجاورة المواد اللازمة لصناعة السفن وتطوير الترسانة البحرية. كما لعبت الصناعات المحلية دور كبير في دعم القوة البحرية ، فبفضل هذه العوامل أصبحت بجاية قاعدة بحرية وعسكرية ساهمت في الدفاع عن المنطقة لقرون، كانت بجاية هي عاصمة الجزائر الحفصية.[2]

المطلب الأول : التكامل بين الموارد الطبيعية في الصناعة البحرية

1. وفرة بجاية على المواد الأولية :

توفرت بجاية على موارد أولية مهمة أسهمت في صناعة السفن . حيث تزخر بثروة خشبية ومعدنية معتبرة إلى جانب المنتوجات النباتية و كذلك ثروة حيوانية ،

و من هذه المواد نجد :

1- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 339.

2- الغبريني، المصدر السابق ، ص 08.

أ. الأخشاب:

كان للأخشاب أهمية كبيرة في بجاية خلال العهد القفصي ، خاصة في النشاط الصناعي ، كما كانت الأخشاب عصب الحياة اليومية وأول منافع الخشب في استعماله وقودًا لإشعال النار للتدفئة و طهو الطعام ، وذلك لكثرة الغابات الكثيفة وكان هذا الوقع مناسب و ملائم لاستغلاله في تطوير صناعتهم كما ساعدت الغابات في تنوع الصناعة وتوفير الموارد للمجتمعات المحلية.[1]

ب. الحديد:

إضافة إلى ذلك فإن بجاية تتوفر على أهم الموارد الطبيعية منها الحديد ، فمثلا عند استخراجه وتصنيعه له منافع عدة في حياة الناس إذ قال تعالى : " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس ..."[2] ، وبالتالي وفرت هذه الصناعة كصناعة الأسلحة المتنوعة مثل :السيوف والسروج والرماح والسهام والدروع والحربات الحربية و المنجنيقيات .

وقد استخرج هذا المعدن من المناطق الجبلية المحيطة بها مثل :جبل جرجرة ، حيث ذكر لنا الإدريسي أن بجاية تتوفر على أهم معادن الحديد الذي كان يعتبر مادة أولية وأساسية في الصناعات المختلفةويؤكد لنا ذلك بقوله : " وبها معادن الحديد الطيب الجودة ... ".[3]

حيث كانت المناجم تزود الحرفيين بالمواد الخام الأزمة لصناعة المسامير والأدوات الحديدية كالسلاسل و المزاليج وآلات الحدادة يسمح وكذلك المراسي التي عززت متانة السفن مما يسمح لها بمقاومة أمواج البحر المتوسط والقيام بحملات عسكرية كذلك ورحلات التجارة .

1- الإدريسي، المصدر السابق، ص 260 .

2- سورة الحديد ، الآية 25 .

3- الإدريسي، المصدر نفسه ، ص 260.

حيث ساعد هذا المعدن على دعم النشاط الاقتصادي والصناعي والعسكري الذي من خلاله أصبحت المدينة من أبرز أحواض بناء السفن في البحر المتوسط .

2. خبرة أهلها بصناعة السفن:

تمتلك بجاية الحفصية موقعا جغرافيا ممتاز ساهم في تطورها الصناعي من إخلال استعماله في المجال الصناعي والتجاري كذلك ، حيث لعبت دور محوريا في تمركز لإنشاء السفن البحرية خلال العصر الوسيط .

ويذكر لنا الإدريسي ذلك في قوله : " وقد كانت في بجاية توجد دار لصناعة وإنشاء الأساطيل للقتال و لإنشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير ويجلب إليها من أقاليمها الزفت والقطران البالغ الجودة و بها معدن الحديد ... "[1] و هذا ما يبينه من قوله أنها تمتلك كل المؤهلات المساعدة لبناء السفن وإتقانها و تصبح مركز رائد في هذه الصناعة.

كما أن الحميري كذلك ذكر وأشار في مؤلفاته أن بجاية لها دار متخصصة لصناعة السفن ، مما ساهم هذا النشاط في تعزيز الصناعة البحرية في بجاية. [2]

والملاحظ أيضا أن الإدريسي أعطى إشارة إلى الوادي المتصل بالبحر والذي ينقص منسوب المياه فيه كلما ابتعدنا عن البحر ، وهذا يدل على استغلال نهر جرجرة في صناعة السفن إذ بواسطته نتصل المراكب المصنعة حديثا بالبحر بكل سهولة ويسر ، ويؤكد

---

1 – الإدريسي، المصدر السابق ، ص 260.

2 – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900 هـ/1945 م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ط1 1975- ط2 1984 ، ص 81.

الإدريسي ذلك بقوله : " جبل جرجرة و هو نهر عظيم فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا ويجوز من شاء في كل موضع".[1]

فقد مثل هذا النهر ممرا مائيا طبيعيا يربط بين المناطق الداخلية كما أن قرب بجاية من مصب النهر جعل عملية إطلاق السفن الجديدة إلى البحر أكثر سلاسة ، حيث كانت المراكب تنقل غبر المجرى المائي لتصل إلى الميناء دون عناء كبير هذا الأمر وفر وقتا و جهدًا مقارنة بالمواقع البعيدة عن الأنهار ، مما وفر كذلك نهاية طبيعية للمراكب أثناء تدشينها حيث كانت المياه الهادئة نسبيا عند المصب تقلل من مخاطر الأمواج العاتية مقارنة بالمناطق الساحلية المفتوحة.

كما نجد أيضا أن الإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار يختلفان في عدد دور صناعة السفن ، فالإدريسي يذكر أن بجاية كانت تملك دار لصناعة السفن ويؤكد بقوله :"وقد كانت في بجاية دار الصناعة لإنشاء الأساطيل للقتال و لإنشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة ...".

و بالتالي نستنتج من قوله أن دار صناعة السفن في بجاية لا تصنع نوع معين واحد من السفن ، بل هناك عدة أنواع مختلفة من السفن منها الحربية والمدنية.[2] ويذكر صاحب الاستبصار أيضا أن تجارية لها عدة دور لصناعة السفن و يؤكد ذلك بقوله قائلا: "و لها دار لصناعة المراكب وإنشاء السفن ..." . مما يوحي بأن المدينة كانت تمتلك أكثر حوض لبناء السفن مما يعكس ازدهار أكبر في النشاط البحري ، كما أيضا أن كلام من الدارين ينتج أنواع مختلفة من القطع البحرية و هو ما ساعد بجاية أن تبادر بالهجوم على المراكب البحرية

1 – الإدريسي ، المصدر السابق، ص 260 .

2– الإدريسي، المصدر السابق ، ص 260 .

.[1] وكما يذكر الحميري كذلك أن لبجاية مرسن عظيم تحط فيه السفن الذي لعب دورًا كبير في دعم الأساطيل البحرية وتعزيز النشاط الاقتصادي.[2]

3. أنواع السفن :

كما نجد أيضا الزوارق التي مثلت عنصر حيوي في التجارة البحرية ، حيث تميزت هذه السفن بصغر حجمها نسيا مقارنة بالسفن الكبيرة، مما جعلها أكثر مرونة في عمليات النقل الساحلي ونقل البضائع بين الموانئ .

ويوجد نوع آخر وهو " الحراقات " و هي سفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر ، وكذلك هناك سفينة حربية أخرى تدعى " الشلندي " تتصف بضخامة حجمها وهي مخصصة لحمل العتاد الحربي والمقاتلين .[3]

كما نجد نوع آخر من السفن يستعمل في القرصنة البحرية في بجاية هي سفن بأحجام متواضعة، وذلك لأفضليتها في السرعة والترويض والقدرة على الجري وراء السفن التجارية الثقيلة وهي القاليوطة و الفرقاطة ، وهي مراكب بمجاديف .[4]

كما ذكر أيضا نوع الجرابس وهي مراكب بشراع ومجاديف أيضا. وعدد من اليخوت ويتعلق الأمر بأنها ذات حجم صغير كلها لقدرتها على الاختفاء .[5] وأيضا نجد نوع آخر حسب ما ذكره أحد المؤرخين وهي "الغراب" وهذا النوع من السفن استعمل في المجال الحربي سفينة شراعية مزودة بمجاديف وبالتالي تجد أن بجاية الحفصية لها أقسام من القطع البحرية

1- مؤلف مجهول : صاحب الاستبصار، ، ص 260.

2- الحميري ، المصدر السابق ، ص 81.

3- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 247 .

4- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص 586 .

5- المرجع نفسه ، ص 587.

منها الصغيرة الحجم كالمراكب والزوارق الخاصة بعامة الناس، وكذلك نوع آخر كالأجفان للتجارة أما الحراقات والشلنديات فكانت مخصصة للمجال العسكري . [1] وصنف آخر من السفن مخصص للقرصنة البحرية مثل القالبوطة و الفرقاطة .[2]

في الواقع أن إنشاء السفن والمراكب البحرية يتطلب وجود عدة صنائع مختلفة التخصصات. ولا بد من أن الصناعة من ضروريات العمران .وقد أقر بعض الرحالة والجغرافيين مدى خبرة أهل بجاية بالصناعة كما ذكر الإدريسي في قوله : " وكما أهلها مياسير و بها من الصناعات ما ليس به الكثير من البلاد" .

والملاحظ أن أهل بجاية اشتهروا بالحنكة وبراعتهم في الصناعة ، بحيث تفتقر الكثير من البلدان للصناعات الموجودة بها ، مما جعل مدينة بجاية أن تكون قطبيا صناعيا للمراكب البحرية.[3] كان سكان بجاية الحفصية يعتمدون بشكل محدود على الموارد الغابية الطبيعية لتأمين حاجتهم من الروافد وكان استخدام الغابات محصوراً في تلبية الاحتياجات المحلية الأساسية مثل الحصول على الأخشاب أو للبناء للتدفئة ، مما أدى ندرة الاخشاب و نقصها إلى ابتكار حلول تعتمد على المواد المتاحة واللجوء إلى قطع غصون الأشجار المثمرة.[4]

كذلك على الرغم من التحريمات التي فرضتها الكنيسة الأوروبية على تصدير بعض المواد فالاعتبارات الاقتصادية والمصالح التجارية أقوى من القيود الدينية في العلاقات بين ضفتي المتوسط خلال العصر الوسيط فالدولة الحفصية كانت تستور بعض الموارد من أوروبا مثل الخشب والمعادن النافعة في الحديد والقصدير .[5]

1- أمينة بوتشيتش، المرجع السابق ، ص 247.

2- دومينيك فاليرين، المرجع السابق ، ص 587.

3- الإدريسي، المصدر سابق ، ص 260.

4- روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ج 2 ، ص 232.

5- المرجع نفسه، ص 271 .

ولا بد من إتقان هذه الصناعة أن تمر بمراحل وهي أن تتخذ صناعة السفن في الهواء الطلق ، وتكون أيضا قريبة من مخازن خشب الصنوبر لأنها المادة الأساسية لهذه الصناعة، إلى جانب توفر الماء، وأول ما يصنع من السفينة هيكلها La coque ثم الصالب quille وهو عن قاعدة رئيسية التي تبلط قعر السفينة ثم تجهز بمقدمة ومؤخرة أو ما تسمى بتفه السفينة و هي التي تديرها وتحركها حسب مسارها و تزود بحبال ومجاديف وأشرعة ومرساة ، و بهذا تكون قد جهزت للإنجاز.[1]

أما المراكب الصغيرة والقوارب فصناعتها حسب ما ذكر الإدريسي بعض من أنواع القطع البحرية التي كانت تصنع ببجاية كالمراكب والسفن والحرابي .[2]

تتمثل صناعة السفن في المنشآت البحرية المنشآت البحرية كالمراكب والسفن والقوارب ، فبجاية واحدة من الحواضر التي أنشأت دورا لصناعة السفن الحربية. ازدهرت هذه بجاية لامتلاكها الثروة الغابية مما ساعدها في هذه الصناعة.

ولا بد من أن صناعة السفن مرتبط ارتباطا قويا بإنشاء الموانئ ، لأنه قاعدة أساسية لمختلف التعاملات والاتصالات هو مكان يستقبل السفن و به ترسو كذلك[3] ، كما نعلم أن ميناء بجاية لعب طيلة عهودها التاريخية أدوار بارزة على جميع الأصعدة الاقتصادية المتمثلة في النشاط التجاري وكذلك الثقافي لتوافد العديد من نخب العلماء والأولياء وكذلك على الصعيد العسكري .[4]

المبحث الثاني : التجارة البحرية

1- أمينة بوتشيش ،المرجع السابق، ص 246 .

2- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 260.

3- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص 313 .

4- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 247 .

شكلت مدينة خلال العهد الحفصي أحد أهم المراكز التجارية في غرب البحر المتوسط، حيث استفادت من موقعه الاستراتيجي التقاء طرق الملاحة بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب حيث كانت حلقة وصل بين الصحراء الكبرى والسواحل الأوروبية و العالم الإسلامي ككل .

لقد شاركت التجارة في دفع عجلة الاقتصاد ببجاية خلال العهد الحفصي بحيث شهدت أسواقها حركة تجارية منبثة في جميع الأمصار والنشاط في البيع والشراء. عرفت بجاية حركة واسعة في التجارة و في هذا السياق يقول الإدريسي : " ومدينة بجاية ... السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة الأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها وأهلها مياسير و تجار ..."[1] . وهذا ما يعبر عن المكانة الاقتصادية والتجارية المتميزة التي كانت تتميز بها مدينة بجاية .حين كانت أحد أهم الموانئ والحواضر في غرب البحر المتوسط.

كانت تجارة البجائيون تعتمد بالدرجة الأولى على تصدير الخيول العربية ، فكانت الخيول العربية مطلوبة في أوروبا .كما اشتهرت شمال إفريقيا بتربية الخيول العربية التي أصبحت مطلوبة من الدول الأوروبية[2] بالخصوص .كذلك نجدها تصدر الجلود المدبوغة و قشور الدباغة والصوف ،[3] و هذا بسبب توافد الأوروبيين على طلب الصوف وهذا لتراجع نسبة تربية المواشي بأوروبا خصوصا في فرنسا وكان المغرب الإسلامي واحد من أهم أسواق التموين، وصوف بجاية والمغرب بصفة عامة في القرن الثالث عشر مكان عال الجودة ، فالبنادقة كانوا يتوافدون بكثرة على بجاية لشراء الصوف.[4]

1- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 260.

2- الوزان الحسن ، المصدر الساب، ج1 ، ص 162 .

3- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، 523 .

4- المرجع نفسه ، 508 .

ارتبطت بجاية بمعاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية كالبندقية وجنوة وغيرها كما نجد صاحب الاستبصار كذلك فيقول : " وهي مرسن عظيم تحط فيه سفن الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر واليمن والهند والصين وغيرها ..."[1] .

والمقصود من هذا أن لبجاية مرسى يعكس دورها كحلقة وصل ، وهذا التنوع الكبير في السفن والجهات القادمة يظهر المكانة الاقتصادية والسياسية التي تمتعت بها بجاية في تلك الفترة كما يشير كذلك إلى امتداد النشاط البحري الإسلامي آنذاك الذي ربط بين أطراف العالم من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي مما ساهم في ازدهار الحركة التجارية والتبادل الحضاري.

يشير هذا كذلك إلى حركة الملاحة التي كانت نشطة التي كان يشهدها ميناء بجاية ، حيث كانت السفن تقلع منها وإليها بشكل دائم هذا ما يدل على اتساع شبكة تجارتها البحرية ، كانت بجاية محطة رئيسية لربط إفريقيا بأروبا حيث تصل سفن التجار من المشرق والمغرب والأندلس وحتى المدن الإيطالية مثل : بيزا و جنوة .

فبجاية بمينائها سيطرت على شبكة التبادل بين البحر والصحراء مما جعلها سوق عالمي تلتقي فيه منتوجات الشرق والغرب فقد ركزت السلع لإعادة توزيعها في اتجاهات مختلفة و جلبت كذلك تجار استقروا بها أحيانا من أجل عقد صفقاتهم ، كما مثل مجيء التجار الأوروبيين تحولا اقتصاديا واجتماعيا بارزا حيث أصبحت المدينة مركز تجاري مزدهر يربط بين إفريقيا وأروبا ، وتدفق السلع الأوروبية مثل الأقمشة والأسلحة والمنتجات الفاخرة ، مقابل تصديرها للمواد المحلية.[2]

1- صاحب الاستبصار، ص 130.

2- دومينيك فاليرين، المرجع السابق ، ص 309 .

كما صدروا أيضا التين المجفف والشمع والشب،[1] وكذلك الحبوب حيث كانت تصدر الفائض الزراعي من الحبوب إلى الدول الأوروبية حيث يقول الإدريسي " ... بلاد زرع و خصب و فلاحتهم إذا كثرت غنت ... "وهي عبارة تختزل ازدهار الحياة الزراعية في بجاية بفضل موقعها الجغرافي المتميز بين السهول الخصبة والجبال المروية ، كانت تعد سلة غذاء حقيقية للحواضر المجاورة و للتصدير عبر البحر المتوسط، فكلما زادت المحاصيل ازدهرت التجارة وامتلأت الأسواق .[2]

أما عن الواردات البجائية فقد تنوعت بدورها فكثيرا ما استوردوا من أوروبا وعبر الجمهوريات الإيطالية الأسلحة مثل: الدروع والعقاقير والخشب وغيره فكانت موانئ بجاية ذات حركة نشطة وانتظمت كذلك الأسواق الأسبوعية و اليومية.

تتوفر مدينة بجاية بموقع استراتيجي و ميناء مثالي يجعلها من أهم المراكز التجارية في المنطقة ، حيث تتوفر ظروف ملائمة للنشاط التجاري بفضل ميناؤها الذي يعد من أبرز مقوماتها الاقتصادية و يتميز هذا الميناء بتوفر عدة مراسي متينة تتيح رسو السفن الكبيرة والصغيرة على حد سواء ، مما يسهل عمليات التبادل التجاري ونقل البضائع كما أن عمق الميناء يجعله قادرًا نحو على استقبال السفن ذات الغاطس الكبير مما يعزز دوره من أهم الموانئ في المنطقة .

بالإضافة إلى ذلك فإن الميناء محمي جيدا من الرياح والعواصف مما يضمن سلامة السفن والبضائع ويقلل من المخاطر التي قد تواجهها أثناء عمليات التحميل والتفريغ ، هذه العوامل مجتمعة تجعل لبجاية الحفصية وجهة تجارية رائدة قادرة على جذب التجار وتعزيز الحركة الاقتصادية في المنطقة. [3]

1- المرجع نفسه ، ص ص 535 – 538 .

2- الإدريسي، المصدر السابق ، ص 260 .

3- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص 425.

1. ديوان البحر :

هو مؤسسة إدارية و مالية[1] كانت موجودة في مدينة بجاية خلال العصر الحفصي، كان هذا الديوان مسؤول عن تسيير الشؤون البحرية، بما في ذلك تنظيم حركة السفن التجارية وجمع الرسوم الجمركية .و صاحب ديوان البحر لكل كامل الصلاحية على موظفيه ،كما كذلك ينظم العلاقات مع التجار الأجانب الأوروبيين مثل : تجار جنوة و بيزة. إن الوظيفة الأولى للجباية هي جباية الرسوم المفروضة على التجارة البحرية خضع سير هذه العمليات للقواعد التي أقرتها العادة.[2]

كان ميناء بجاية كغيره من موانئ المغرب الإسلامي مزودا بهياكل إدارية متكاملة تشمل المسؤولين عن الجمارك الذين كانوا يتولون مراقبة السفن الوافدة والصادرة وتنظيم عمليات الشحن والتفريغ ، فضلا عن الحراس ومفتشين لمراقبة البضائع المحظورة ومنع التهريب، كما استدعى في ديوان البحر البجائي إلى وسيط لتسهيل عملية التعامل بينهم ، و هو عمل المترجمين الذين عملوا عمل المترجمين والسماسرة فأصبحوا عنصرا أساسيا في حياة التجار اليومية ، لقد مثلو حلقة الوصل التي ساعدت في تجاوز الحواجز اللغوية والثقافية ، مما جعلهم لاعبين رئيسيين في تنشيط الحركة التجارية وتسيير أمورها بسلاسة .[3]

وكذلك نجد المكتبة المقيدة للكتب والوثائق الديوانية و عدول الإشهاد المختص بالإشهادات ، يلعبان دور أساسي في تنظيم الشؤون الداخلية للميناء فكل هاته المؤسسات تكمل بعضها البعض ، حيث تقوم المكتبة بحفظ السجلات الرسمية والوثائق الرسمية والإدارية

1- بريكة مسعود ، مرجع سابق ، ص 281 .

2- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق، ص 351.

3- أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص 191.

، بينما يتولى ديوان العدول توثيق المعاملات والإشهاد عليها ،مما يضمن سير العمل بشكل منظم و فعال ضمن الإطار القانوني والإداري للميناء .[1]

2. الفنادق:

يشير فاليريو إلى أن بجاية بفضل موقعها كميناء تجاري رئيسي ، كانت تضم منشآت لإيواء التجار والمسافرين، ازدهرت هذه المنشآت في العصر الحفصي عندما كانت بجاية مركز تجاري بين أوروبا وإفريقيا.

كانت الفنادق تتميز بخصائص معمارية فريدة بناء على شكل بناية دائرية أو مستطيلة يغلقها باب ،[2] كما لعبت الفنادق في العهد الحفصي التابعة للجالية الأوروبية دورا مهما يتجاوز مجرد توفير أماكن الإقامة حيث تحولت إلى مراكز حيوية للنشاط الاقتصادي توقيع الاتفاقيات والاجتماعي ، فإلى جانب المبيت، تتحدث هذه الفنادق التجارية بين التجار ، كما استخدمت مستودعات لتخزين البضائع والمواد الثمينة ، كما تميزت هذه المراكز يتنوع أنشطتها، إذ ضمت كنائس وملاهي وحانات مما جعلها نقاط تجمع للجاليات الأوروبية .[3]

ومع الوقت تطور دورها لتصبح هذه الفنادق في العصر الحفصي أماكن رئيسية لتبادل السلع وبيع الخيرات، مما يعكس تنوع الملكية بين العامة والخاصة وازدهار الحياة التجارية في تلك الفترة.

لعبت الفنادق دور رئيسي، لميناء بجاية لتنشيط الحركة التجارية خلال تلك الفترة حيث شهدت

1- المرجع نفسه ، ص 192.

2- دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص 551.

3- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 188.

تزايد ملحوظ في أعداد التجار الجنوبيين الذين استقروا في المدينة وأسسوا وكالتهم التجارية هناك ، فمع تدفق هؤلاء التجار وازدهار أعمالهم ازدادت الحاجة إلى أماكن إقامة مريحة ومراكز لالتقاء الأعمال،

مما دفع تطوير البنية التحتية الفندقية وتوسعتها ولم تكن هاته الفنادق مجرد أماكن الإيواء المسافرين

بل تحولت إلى مراكز حيوية ساهمت في تعزيز النشاط الاقتصادي ، حيث أصبحت نقاط لتبادل السلع والمعلومات ، و فضاءات لعقد الصفقات والشراكات التجارية كما أدى وجودها إلى جذب المزيد من التجار والزوار من مختلف المناطق، مما عزز مكانة بجاية كواحدة من أهم المحطات التجارية في المنطقة ، وبذلك لم تقتصر مساهمة الفنادق على توفير الخدمات الأساسية في الاقتصاد المحلي وتنميته.[1]

المبحث الثالث : القرصنة البحرية :

استمرت القرصنة كنشاط منتشر في البحر المتوسط طوال العصور الوسطى والفترة الحديثة، وتركت سيطرة الإسلام على البحر خلال وقت طويل فرصة احتكار للأساطيل المسلمة له.[2]

كما نجد أن البجائيون تعودوا على القرصنة منذ العهد الموحدي ، حيث تشكل موقع المدينة الاستراتيجي على الساحل المغاربي نقطة انطلاق للعمليات البحرية .[3] وما زاد هذا النشاط قوة هو امتلاك بجاية للمواد الأولية من خشب و حديد لصناعة السفن و المراكب.[4]

1- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 189.

2- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص 555.

3- أمينة بوتشيش، المرجع نفسه ، ص 95.

4- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 260 .

ينتج عن القرصنة عادة الحصول على الغنائم والأسرى ، كما نجد كذلك أن القرصنة في بجاية عرفت رواجاً وانتشارا و شهرة بالخصوص عهد الدولية الموحدية ، هذه الأخيرة جعلت من مدينة بجاية و مينائها قاعدة أساسية لهذا النشاط. [1]

كما تواصلت قوة بجاية في هذا النشاط إلى غاية العهد الحفصي ، حيث بلغت القرصنة أوج تألقها ، فالقرصنة ببجاية حققت الكثير من الامتيازات منها كسر شوكة الإفرنجة المسيحيين في البحر الأبيض المتوسط وهذا راجع كما قلنا من قبل إلى قوة الأسطول البحري وقوة القادة الذين يقودونه [2]، إذ كان يتخيرون له الأخيار وأيضا ميناء بجاية واستراتيجيته الملائمة فكان للقرصنة الحق في رسو سفنه فيه.[3]

كانت القرصنة تعتبر مصدر دخل للدولة ، لأنها ساهمت في رفع مستوى مردود خزينة الدولة ، فمثلا الدولة لا تدفع المال للعمال الذين يجهزون المراكب وإعداد الغزاة لأنهم كانو أسرى جلبهم القراصنة بجاية فبذلك وفرت نفقات إضافية يد الصناع موجودة والكلفة غير موجودة. ومن جهة أخرى دعم مساحة الأسطول ببجاية، لأن القراصنة يغنمون بالأسرى و بالمراكب والسفن ، بما في ذلك قرصنتهم للسفن المحملة بالبضاعة والأموال والركاب .[4]

رغم الأرباح التي حصدتها القرصنة إلا أنها في أغلب الأحيان تؤدي إلى تهيئة مناخ ربما تكون له أثار سلبية. تضاعفت حالات الاستيلاء على السفن وبلاغات حضور أساطيل القراصنة في المياه المسيحية . فهناك دراسة لأماكن الأسرى تبين أن بجاية كانت خلال هذه السنوات القاعدة الرئيسية للقرصنة بالمغرب.[5]

1- دومينيك فاليرين ، المرجع نفسه ، ص575 .

2- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 96 .

3- دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص 310.

4- أمينة بوتشيش ، المرجع نفسه، ص 97.

5- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص ص 563 - 570 .

في غالب أحيان تأتي غنائم القرصنة من أسر مراكب التجار في البحر وذلك يكون إما من الغارات التي تجري على السواحل ، وكانت الحملات في الغالب الأعم في فصل الملاحة بمعنى الصيف.

كما شكل العدد الكبير من الأسرى البحارة في بجاية دليلا واضحا على مدى التهديد الخطير الذي فرضته القرصنة على حركة الملاحة البحرية خلال العصر الحفصي ، حيث عرضت هذه الممارسات الأمن البحري للخطر وأثرت سلبيا على الاستقرار الاقتصادي والتجاري في المنطقة.

كان الاستيلاء على السفن في البحر مهمة صعبة حيث اعتمدت بشكل كبير على عنصر المفاجأة لتحقيق النجاح، وغالبا ما كانت السفن المستهدفة من النوع البسيط مثل الألواح والقوارب الصغيرة. بينما نادرا ما كانت السفن الكبيرة مثل النافات أو اليخوت تستولى عليها بسبب صعوبة ذلك.[1]

شكلت مدينة خلال العهد الحفصي أحد أهم المراكز التجارية في غرب البحر المتوسط ، حيث برزت كقاعدة رئيسية للقرصنة البحرية التي استهدفت السفن التجارية الأوروبية ، حيث تحولت بجاية إلى مركز لتنظيم الغارات البحرية ضد الموانئ والسفن الأوروبية. مما أثار ردود فعل عنيفة من القوى المسيحية لم تكن القرصنة في بجاية مجرد أعمال نهب عابرة ، بل كانت ظاهرة معقدة ارتبطت بالصراعات السياسية والاقتصادية في الحوض المتوسط ، وساهمت في رسم ملامح التاريخ المغاربي لقرون قادمة.

المبحث الرابع : العمليات العسكرية التي خاضها الأسطول

لقد لعبت الهجمات التاريخية خاصة من ناحية البحر دور كبير في عدم الاستقرار بإفريقية و على سكان الحاضرة . فمنذ 7 هـ /13 م كانت هناك حملات على السواحل

1- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 588 .

الإفريقية [1] بين السلطة الحفصية و الممالك الغربية للمتوسط خاصة مع جنوة وصقلية و الفرنجة و هذا راجع إلى التحكم في التجارة البحرية للمتوسط ، غير أ، السواحل الحفصية ، كانت تتعرض للنهب من طرف إمارات الفرنجة وصولا إلى التصادم مع الإسبان الذي اكتشف ثغور النظام الحفصي و عدم قدرته للمواجهة .

كما نجد أن الهجمات البحرية على بلاد إفريقية تعددت في زمن الدولة الحفصية منذ الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع زمن المستنصر (647 -675 هـ / 1249 - 1977 م) سنة 668 هـ/1267م .[2] كانت تربطهم علاقة طيبة غير أن الدولة الحفصية والمماليك الإفرنج كانت تربطهم علاقة تجارية ودبلوماسية .حيث يذكر صاحب المعالم أن العديد من العلماء والصلحاء قد شاركوا في مواجهة العدو الخارجي و من بينهم نجد :

الشيخ أبا علي سالم القديدي (ت 699 هـ / 1299 م) الذي كان هدف الدعوة إلى الجهاد .[3]و يذكر ابن خلدون أن السلطان تفاوض مع أهل الشورى من الأندلس و الموحدين في المشاركة في الحل و العقد . فنزلوا بالساحل فبقوا في صراع حتى تنفذ ذخيرتهم من الزاد والماء، كما شارك في هذه الحملة قرابة ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجالة ، أما أساطيلهم فقد كانت حوالي ثلاثمئة بين كبار و صغار ، وقد كانوا سدا منيعا على السواحل من جهة سواحل رادس إذ كانوا مرابطين برباط رادس تحت نظر محمد بن الحسين "[4] .

المطلب الأول: الغزو الإسباني لمدينة بجاية:

يشير مارمول كربخال في قولهما بمفاجأة هجوم الأسطول الإسباني بقيادة الكونت بيذري نابارد، على سكان بجاية سنة 915هـ/ 1509م . وكان ذلك الأسطول يتكون من أربع

1-العيد غزالة، المرجع السابق، ص 62.

2-روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص 86.

3- العيد غزالة، المرجع السابق، ص 62.

4-ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 427.

عشر سفينه كبيرة محملة بالجنود، و بهذا نجح الإسبان في مهمتهم إلى كون البجائيين أناس طيبون لم يعلنوا الحرب من قبل على أحد، إلى درجة أنهم عندما جاءهم الكونت بيير نافار ببعض سفن النقل، هربوا جميعهم إلى الجبل على رأسهم الملك آخذين معهم كل ما يملكون وبهذا تمكن الإسبان من أخذ المدينة ونهبها ، سرعان ما شيد قلعة قرب البحر في موضع استراتيجي في الشاطئ كما نجده حصن قلعة مجاورة للبحر بجانب دار الصناعة .[1] كما نجد أنه حسب أبي علي إبراهيم المريني المعاصر لتلك الفترة لم يتم ببساطة ، حيث تجد أن جيش تلك الحملة نزل قرب بجاية في ضريح سيدي السيوكي .

وإضافة إلى ذلك كثرت الفتن والثورات الداخلية ببين الأعراش والقبائل ورؤساء الطوائف والجماعات، بالإضافة إلى التوافد الضخم للهجرات الأندلسية على شمال المغرب الإسلامي، وكذلك نجد هنالك نزاع بين أبناء بني حفص على السلطة وكذلك تآمر الأعراب بني عامر مع الإسبان في احتلال وهران إذ كان معظم جند الإسبان منهم، بالإضافة إلى الضعف العسكري للمسلمين كان يمثل نقطة قوية بالنسبة للإسبان و هكذا تم تسيير شؤون الدول الإسلامية المغربية لدى الكثير من الحكام ، بالإضافة إلى الهجرات الأندلسية التي خلقت نوع من الفوضى مما ساهمت كل هذه العوامل في تحفيز الإسبان في التعجيل من الغزو و احتلال الساحل الافريقي وكل هذا من أجل قضاء أهدافها و رغباتها والتي هي :[2]

. إحياء الأمجاد المسيحيين حيث سعت الكنيسة لاستعادة الهيبة المسيحية غبر شن حملة صليبية تهدف إلى تنصير شمال إفريقيا، حيث كان القس سان فرانسيسكو قبل قرن يحلم بتمسيح شمال المغرب الإسلامي، وجاء الراهب خمينت ليحمل هذا الحلم ويعمل على تحقيقه وتوسيع حدود المسيحية. الدافع الديني للحرب حين كانت الحملة ضد المسلمين تصير تصور

1- محمد بن عميرة ، لطيفة بشاري بن عميرة ، تاريخ بجابة في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين ، دار الفاروق لنشر والتوزيع، 2015 ، ص 295 .

2- أمينة بوتشيش، المرجع السابق ، ص 68.

على أنها جهاد ديني ، حيث صرح الملك فرديناند بأنه يحارب من أجل الله و لخدمة الدين المسيحي .

. التوسع العمراني المسيحي حيث عمد الإسبان إلى إعادة إعمار المدن الساحلية في المغرب الإسلامي مثل وهران، بجاية، تونس، وطرابلس، بطابع معماري مسيحي وتحويلها إلى مراكز تتبع مباشرة للسلطة الإسبانية.

. استغلال الاقتصادي نجد أن الإسبان عملوا على استغلال الموارد البشرية والطبيعية في هذه المناطق خصوصا مدينة بجاية التي كانت تضم إمكانيات طبيعية كبيرة وميناء تجاريا ذا أهمية استراتيجية .

الرغبة الإسبانية القوية في السيطرة حوض البحر الأبيض المتوسط و منافسة النفود العثماني فيه.

. رغبة المسيحيين المحليين من التخلص من الجزية التي كان يفرضها عليهم ملوك بني حفص وبداية إسبانيا الإعداد لحملة عسكرية واسعة ، بعد الحصول على مباركة البابا الكاردينال "خمينت" الذي كان يشغل منصب رئيس الأساقفة في التحضير للحرب ، فنجده أنه قام بجمع التبرعات وتنظيم الأساطيل وتجهيز العتاد اللازم، يدعم من الكنائس التي دعاها لمساندة الحملة.

وفي 16 ماي 1509 تو به الكاردينال "فرنسيسكو" إلى إتمام غزو وهرانحيث خرج الأسطول مكونا من 33 سفينة و 6 سفن شراعية حربية ، وعند وصولهم إلى المرسى الكبير زحفوا إلى وهران من أجل الاستيلاء على النقاط العليا التي كان يدافع عنها العرب ومن ثم بدأ الأسطول في شن نار المدافع ضد المدينة فدخلوها وفتحت أبوابها فدخل الجيش وتم الاستيلاء عليها و أطلق سراح 300 أسير مسيحي .[1] فتجهز سكان بجاية للدفاع عن مدينتهم خاصة بعد سماعهم بما حل بمدينة وهران من دمار وخراب على يد الإسبان، كما أن

1- أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 69.

بجاية تميزت بجبالها الخصبة التي تحولت إلى حصون طبيعية، احتمى بها الأهالي من العدوان ومنها أبرز هذه الجبال قورايا حيث صعدت إليها فرقة قوامها عشرة آلاف رجل عازمين على صد التوغل الإسبان ومنعهم من التقدم داخل البلاد.

دارت معارك عنيفة، حيث تبادل فيها الطرفان إطلاق النار وضرب المدافع، وخاض البجائيون مع الأمير عبد الرحمن معركتين بطولتين، على الرغم من صمودهم وتحت المدينة تحت سيطرة الإسبان الذين نجحوا في مد جسور من الخشب بين السفن قد كان القائد الإسباني بيدرو نافارو قد وجه إنذارا نهائيا للأمير عبد الرحمن لتسليم المدينة ، مهددًا بمواصلة القصف إن لم يستجب.

وعلى الرغم من التهديد واصل أهالي بجاية الدفاع عن أرضهم و أرسلوا النساء والصبية إلى مدينة جيجل التي كانت أكثر أمنا في ذلك الوقت.[1]ولم يقتصر نافاروعلى استخدام الأسلوب العسكري فقط بل سعى أيضا إلى تحالفات سياسية فاتصل بالأمير المعزول عبد الله الأمير الشرعي البلاد واتفق معه على التعاون ضد الأمير عبد الرحمان في محاولة لإخضاعه وإنهاء وجوده خاصة وإن سكان بجاية ظلوا يبدون مقاومة مستمرة دفاعا عن مدينتهم حيث بد أ الأمير عبد الله يستميل سكان بجاية محرضا إياهم على التمرد ضد عمه عبد الرحمن ، بينما عهد هذا الأخير إلى عقد تحالفات مع قبائل الجبال لمواجهة كل من الإسبان و ابن أخيه عبد الله ومع تصاعد المقاومة عجزت قوات نافارو عن التقدم ، مما اضطره إلى وقف الهجوم ز العودة إلى بجاية .[2]

ونجد أن بجاية أعطت مهمة الولاية بتعاقب أمراء بنى حفص ، حيث تولى الأمير عبد الله حكم الدولة الحفصية أنه زج في السجن من طرف عمه الأمير عبد الرحمن أما ابنه فقد كان واليا على بجاية . واستمر الحكم إلى زوال القوى الإسبانية بها.

1- أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 120 ، 121 .

2- أمينة بودشيش ، المرجع السابق ، ص 74.

ويجدر بنا الذكر أن القرصنة البحرية التي شَنَتْ البجائيين كانت من بين أسباب الاحتلال الإسباني لبجاية، فقد كان لموقعها الاستراتيجي الهام ضمن محفزات السطو والغزو على بجاية فقد كان مخطط له مسبقا. من طرف الملك فرديناند الذي أرسل بدوره إشعارًا حول عملية غزو بجابة في 18 نوفمبر و1509 ، و بهذا شنوا هذه الحملة على المرسى الكبير و وهران التي خلفت بها أفظع الجرائم.

في 30 نوفمبر 1509 أبحر بيدو نافارو من مرسى الكبير مدعيا العودة إلى إسبانيا، لكن وجهته الحقيقية كانت نحو جزر البليارجيت رسا بأسطوله هناك منتظرا اللحظة المناسبة للإنطلاق نحو بجاية ومع نهاية شهر ديسمبر وصلته الإمدادات والتعزيزات العسكرية من إسبانيا [1] فاستعد لبدء حملته التي ستكون لها عواقب وخيمة على مدينة بجاية عبد العزير و معلم قواته وفي تلك الأثناء كان الأمير عبد العزيز الحفصي و معظم قواته العسكرية متمركزين في قسنطينة متمركزين مما ترك بجاية مكشوفة أمام الهجوم وفي فجر 11 جانفي 1510 وصلت إلى ميناء بجاية 20 سنة تحمل على متنها عشرة آلاف جندي مشاة مزودين بمدفعين ثقيلة وأسلحة متنوعة ، تحت قيادة "بيدرو نافارور" وعلى الفور بدأ الهجوم البحري على المدينة ،تلاه إنزال بري لقوات المشاة.[2]

وعندها تولى الكاردينال " أوليفتوا" شخصيا إدارة المعركة ضد الأمير عبر الرحمن ، فقاد حملة مكونة من 111 جنديا نحو أعالي الجبال التي كان يتحصن فيها الأخير حيث استمر الهجوم ل مدة 23 يوما، إلى إن وصلت تعزيزات من الأمير أو فارس، نجل الأمير عبد العزيز يرافقه شقيقه عبدالله أبو أحمد بن إسماعيل وقادة آخرون، كما توجهت هذه القوات نحو موقع العدو في سيدي عيسى بهدف فك الحصار وإنقاد المدينة، غير أن المحاولة انتهت بالفشل

1- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص 120 .

2- المرجع نفسه ، ص 190.

بالفضل إذ سقط 411 جنديا من صفوفهم من بينهم لأمير أبو فارس و شقيقه عبد الله وذلك بين بابي ، باب السادات و باب أ ميسون في مارس من عام 1510.

وبعد المعارك طويلة التي خاضها سكان بجاية ضد الإسبان لمنعهم أكثر من التوغل بالمدينة لم تستمر طويلا ففي نهاية انسحبت وعلى رأسهم الأمير عبد الرحمن ، بعدها شهد الإسبان خسائر مادية وبشرية، فقام الكاردينال بإرسال الأمير عبد الله ليتفاوض مع الأمير عبد الرحمن على مجموعة من التوصيات والشروط[1] على اثرها سقطت مدينة بجاية وبذلك تحقق رغبة الإسبان في الاستيلاء على أهم و أكبر حواضر المغرب الأوسط التي خطط لها الإسبان منذ القرن (7هـ – 13 م) في القضاء على معالمها الإسلامية وتعميرها بالمسيحين.

المطلب الثاني : أهم القادة العسكرية في الأسطول البحري البجائي :

كان الأسطول البحري البجائي أهم قوة عسكرية في الغرب المتوسط. خاصة خلال فترة ازدهار الدولة الحفصية ، وكان الأسطول نشطا في حماية السواحل ومحاربة القرصنة كما شارك في مواجهات وصراعات مع القوى المسيحية و من أهم القادة العسكريين في بجاية نذكر:

1. **محمد بن يحي الأنصاري** (ت نحو 721 ، 722 هـ / 1321 م أو 1322 م) هو[2]

أندلسي الأصل، أمه من سبايا عرب إفريقيا[3] ، دخل المرية رسولا للحفصيين، وعرف مؤهلاتها وطموحها الإمارة فولي الزكاة والمواريث ببجاية ، ثم يرقى بعد ذلك إلى قيادة الأسطول البحري ، تولى عدة مناصب في بجاية[4] ، توفي قتيلا وهو والي الحجابة بتونس.[5]

1- أمينة بودشيش ، المرجع السابق ، ص 74.

2- ابن القاضي ، درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، تح : الأستاذ علوش ، الرباط ، المطبعة الجديدة ، 1934 ، ص 183

3- المصدر نفسه ، ص 183.

2. **زيد ابن فرحون (حيا 741 هـ / 1340 م)** : عين زيد ابن فرحون على رأس قيادة الأسطول البحري الحفصي قام بالمشاركة في عدة معارك منها مواجهة الأسطول الإسباني . وساعده في هذا التألق أن بجاية كانت تحظى بمكانتها الأولى في الجهة الغربية للدولة الحفصية و في المغرب الأوسط كما عرفت بجاية بعدة هياكل قاعدية منها دار لبناء السفن. لقد جاءت هذه القيادة لتكون اعترافا بمكانة القائد المحلي البارزة على مستوى المتوسطي، وتجسيدًا للثقة الراسخة التي يوليها البيت الحفصي له، وتقديرًا لكفاءته و حكمته وقدرته على قيادة الأمور على قيادة الأمور بحنكة واقتدار ، فهي ليست منصبا فحسب بل شهادة على إخلاصه وتميزه و تأكيد على دوره المحوري في مسيرة العمل البحري .[1]

3. محمد بن أبي مهدي (ت 805 هـ / 1402 م)[2]:

من المرجح أن محمد بن أبي مهدي قد نشأ منذ صغره في أحضان البحر ، حيث أن موقع بجاية الاستراتيجي على سواحل المتوسط تفرض على أبنائها ألفة مع الحياة البحرية، فكما جرت العادة بين البجائيين الأشداء الذين اشتهروا بالشجاعة والإقدام كان الانضمام إلى الجيش البحري الحفصي مسارا طبيعيا لأبناء هذه المدينة برزوا بقوة في حسن الملاحة والحرب ابن أبي مهدي تدرب على موانئ بجاية المكتظة بالسفن و الغزوات البحرية حتى أصبح جزء من نخبة المحاربين البحريين الذين اعتمدت عليهم الدولة الحفصية في الدفاع عن سواحلها وصد هجمات عينه السلطان في نفس السنة (773 هو / 1370) رئيسا على ميناء بجاية وقائد لمنشآتها .[3] حيث جمع بين المهام الإدارية الرسمية في القصر الأميري ببجاية

4- بريكة مسعود ، المرجع السابق ، ص 288.

5- ابن القاضي ، المصدر السابق ، ص 184.

1- بريكة مسعود ، المرجع السابق، ص 290.

2- ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الإسكندرية ، الدار التونسية للنشر ، د ط ، 1968 ، ص 186.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 574.

والمهام العسكرية المتمثلة في قيادة الأسطول البحري البجائي ، وقد أثمر تعاونه الوثيق مع أمير بجاية على نجاح بارز في إدارة شؤون بجاية .[1]

1- بريكة مسعود، المرجع السابق ، ص ص 291 ، 292 .

الفصل الثالث : التحصينات الدفاعية في بجاية الحفصية

المبحث الأول : التحصينات الطبيعية

المبحث الثاني : الأبراج و الحصون

المبحث الثالث : القلاع و القصور

المبحث الرابع : الأبواب و الأسوار

المبحث الخامس : المعدات الحربية والأساليب الدفاعية

المبحث الأول : التحصينات الطبيعية

تتمتع مدينة بجاية الحفصية بموقع جغرافي استراتيجي ساهم بشكل كبير في تحصينها الدفاعي مما جعلها واحدة من أهم الحصون والمراكز العسكرية والتجارية في شمال إفريقيا فمدينة بجاية مدينة سهلة الدفاع عنها حيث يقول المؤلفين عن مظاهرها الدفاعية كالعبدري الذي وصفها قائلا : " بجاية مبدع الإتقان والنهاية وهي مدينة كبيرة حصينة و منيعة ، شهيرة ، بحرية، برية ... فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب ... " [1] .

فبجاية محمية بتضاريسها الصعبة جدا، تحيط بالمدينة سلسلة جبال الأطلس التلي خاصة جبال يما جورا و البابور والتي تشكل حاجزا طبيعيا ضد الغزوات من الجنوب أو الغرب كما يذكر الحسن الوزان: " أنها مدينة عتيقة تقع على منحدر جبل شاهق على ساحل البحر."[2] .

كما نجد ياقوت الحموي يصفها في قوله قائلا أن : "بجاية هي مدينة ساحلية تقع على ساحل البحر المتوسط ، تقع في المغرب الأوسط وبينها وبين جزائر بني مزغنة[3] مسافة أربعة أيام " [4]، فمدينة بجاية تقع على الساحل الشمالي فهي مطلة على البحر الأبيض المتوسط مما وفر لها كذلك حماية طبيعية من الهجمات البرية عبر الجبال الوعرة، وإمكانية المراقبة البحرية لاكتشاف السفن المعادية مسبقا لأخذ الحيطة والحذر، واستخدام الميناء كقاعدة الأسطول الحفصي البجائي لصد الغزوات .[5] (انظر الملحق رقم 1) .

---

1 – العبدري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007 م ، ص 49.

2 – الوزان، المصدر السابق، ص 59.

3 – جزائر بني مزغنة : هي مدينة الجزائر حاليا فيها أسواق كبيرة ولها عيون على البحر. للمزيد أنظر ابن حوقل، المصدر السابق، ص 55.

4 – ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 339.

5 – دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص 151.

المبحث الثاني : الأبراج والحصون :

المطلب الأول : الأبراج :

كانت بجاية تحظى بتحصينات دفاعية قوية بما في ذلك الأبراج التي بنيت لحماية المدينة من هذه الغزوات التي اهتم الأمراء الحماديين ببنائها فهي أبراج عالية وقوية للمراقبة ومن أهمها نجد:

1. **برج موسى** : يعتبر من أحسن الحصون[1] ، كما أضيفت إليه بنايات في سطحه العلوي تعود للحقبة الفرنسية، برج موسى شيده المنصور على أنقاض قصر النجم ويعبر من بين القلاع الهامة في بجاية، يحتل موقع استراتيجي هام يشرف على الميناء من جهة و على القصبة من جهة أخرى وبرج سيدي القادر من جهة أخرى ،ولقد بني بطريقة جد محكمة ، و في شكله العام هو مربع على جانبية إضافات على شكل جناحين من ناحية الشرق والغرب .[2](انظر الملحق رقم 02)

يتكون برج سيدي موسى من طابق أرضي يتكون من ثلاث أقبية كبيرة علوها 9 م، وعرضها 6م، فالطابق الأول يتكون من قاعة كبيرة بها عشر فتحات إضاءة وللتهوية تتوزع على جدرانها، بينما الطابق الثاني وهو المستوى الوسطي، كما أضيف كذلك إلى أصل البناء غرف بالجهة الجنوبية نغطى سقف المدخل والقبو الذي يكونه، بالإضافة إلى بعض الإضافات التي أضيفت بطريقة تلائم البناء ليصبح في العهد الفرنسي يعرف باسم حصن برال Le fort Barral .

كما نجد الطابق الثالث لا يختلف عن سابقيه في جرئه الجنوبي ، حيث توجد خمس غرف مماثلة لغرف الطابق الثاني وتوجد بهذا الطابق عدة فتحات تسمح بمراقبة المدينة والفحص

1 - دومينيك فاليرين، المرجع السابق ، ص 413 .

2 - عزوقي عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 80.

تتميز بذران حصن برج موسى بسمكها الكبير خاصة الشمالية والمقابلة لجبل قوراية والتي يصل سمكها على 6 م. أما جدرانه الداخلية والخارجية مبنية بمادة الآجر و بها فتحات على شكل مزامل ويتم الاتصال بين المستويين عن طريق سلم داخلي.[1](انظر ملحق رقم 02).

2. **برج المنار**: يتميز بتصميم إسلامي نموذجي للعصر الحفصي ، كان بمثابة منارة للملاحة البحرية، حيث يشع نوره ليلا لهداية السفن ، كما امتاز البرج بعلوه حيث يمكن من خلاله مراقبة المدينة من جميع الجهات المختلفة ، له قاعدة مربعة الشكل يبلغ ضلعها 20 م، وواجهة مزينة بمشكوات نصف دائرية القعر ، فيشمل على قاعدتين إحدى فوق الأخرى ،القاعة السفلية مربعة ومسقفة بقبة ، والقاعة العليا صليبية الشكل ، كما كان ممر الحراس يحيط بالقاعتين ويرتفع من مستوى القاعة السفلية إلى أعلى البرج حيث نجد آلة بالمرايا .[2]

المطلب الثاني : الحصون :

1. حصن القصبة:

هو أحد المعالم التاريخية العريقة التي تعود إلى العهد الحفصي وتحديدًا إلى الفترة حكم الحفصيين في بجاية ، بنيت القصبة في العصر الوسيط كحصن دفاعي لحماية المدينة من الغزوات الخارجية خاصة كما يذكر الحسن الوزان : "أن الإسبان بعد دخولهم لبجاية قاموا بتحصين قلعة قديمة مجاورة للبحر بجانب دار الصناعية "[3] .

ولعل المقصود من هذا أنها قصبة بجاية اليوم ظهرت عمارة القصبات في بلاد المغرب الإسلامي منذ العصر الموحدي وقد تكون قصبة بجاية حيا من أحياء الدولة الحمادية، ثم بقدوم الحملة الموحدية تحولت إلى قصبة وهي مقر الحكم لدى الموحدين ، ثم أصبحت فيما بعد مقرا للدولة الحفصية حيث كان يتم فيها تقليد و تنصيب

1 – عزوقي عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 81 .

2 – رشيد بوروبية ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977 ، ص 203.

3 – حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 51.

الأمراء وتتويجهم بوشائح الحكم فيها .[1]

أما من حيث موقعها الجغرافي فهي تطل على البحر التوسط من جهة و محمية من جهة البر من جهة أخرى ،كما أنها محمية من جهة البحر بواسطة حصن سيدي عبد القادر ومحمية كذلك عن طريق الأبراج المنتشرة عبر السور وكانت الأبراج تتخذ أماكن مرتفعة من المدينة[2] ، كما أن مدينة بجاية محمية طبيعيا بسلسلة الجبال والتلال المحيطة بها من الشمال الغربي إلى الجنوب و من الجهة الشرقية للمدينة نجد نهر الصومام الذي ينبع من مرتفع جرجرة جنوبا ، والذي يعتبر عائق طبيعي يصعب اجتيازه.

تعتبر قصبة بجاية أكثر الحصون أهمية في المدينة وذلك من حيث موقعها على هضبة مرتفعة في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة. أما شكلها العام عبارة من مستطيل تقدر بـ 155 م طولا و 70 عرضا.[3]

وللقصبة بابان واحدة باب رئيسية تؤدي إلى المدينة والأخرى باب تؤدي إلى السهول المحيطة، تم وضع حاميات عسكرية في الحصون القائمة لحراسة المدينة وكان يعرف حصن القصبة رممت أسوار القصبة ودعمت الواجهة الأمامية، وكان ممشى الحراس يعلو أسوار القصبة قد تصدم، كما أيضا يتخلل الأسوار المتبقية فتحات للرمي على شكل مزاغل حدد سمكها بـ 120م، و هي مبنية بالحجارة من الأسفل والأجر و بطبقة من الملاط بالقسم الأعلى ، يصل سمك هذا الجدار قد حدد في بعض الأماكن بحوالي 50 م عن مستوى سطح البحر ويمتد من الشرق إلى الغرب في شكل تعرجات، تتكون القصبة من القاعدة الجنوبية الشرقية المقابلة للبحر والتي تحمي دار الصناعة.[4]

1 – عبد الكريم عزوقي ، المرجع السابق ، ص 77 .

2 – دومينيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص 153 .

3 – المرجع نفسه ، ص 73.

4 – عبد الكريم عزوقي ، مرجع سابق ، ص 78 .

أما مواد بناء القصبة ، هي مبنية على حجر أساس كبير على شكل مداميك رومانية قديمة وأسوارها مزودة بأبراج وحصون، تعتبر نموذجا متكاملا للعمارة الدفاعية في مدينة بجاية، كما كانت تشكل القلاع الأخرى نقطة اتصال دقيق لمراقبة المدينة من العدوان الخارجي خاصة في تلك الفترة التي تميزت بعدم الاستقرار.

القصبة اليوم مزيج بناء الموحدي، وعمل الإسبان فمواد البناء التي تم تحليلها من طرف الخبراء أكدت على ذلك.[1]

2. حصن سيدي عبد القادر:

يعرف هذا الحصين بـ "حصن البحر"، وأعيد بناؤه من طرف الإسبان، ويعود تاريخه إلى العهد الحمادي (5هـ/11م) ، والحفصي (7/14 م) ، حيث كان يمثل بُرجاً للمراقبة في تلك الفترة . ويقع هذا الحصن في الحدود الجنوبية الشرقية للمدينة، كما يسمح له موقعه الجغرافي بمراقبة الساحل المشرف على شاطئ سيد يحيى ، والطريق المؤدي إلى القصبة .

أما بالنسبة لموقع هذا الحصن فيقع على قمة هضبة صخرية ويتخذ شكلا مقرب للمستطيل، وتقابل واجهته الجنوبية جهة البحر مشكلة عرض المستطيل ، أما الضلعان المستطيلات فيتجهان جهة الشمال ويسمحان بمراقبة فعالة على الجهة الغربية ناحية شاطئ سيدي يحيى ، أما الجهة الشمالية من الحصن فتتخذ شكلا منحنيا يسمح بمراقبة واسعة ناحية الجبال المقابلة.[2]

تضرب جدران الحصن في البحر وهي من الحجارة الكبيرة وأحيانا من الحجارة المتقنة القطع من مختلف الأحجام ،تقدر مقاسات الحسن بحوالي 56 م طولا ، و 18 م عرضا ، يتكون من طابق أرضي به أربع غرف تحتوي الواحدة منها حوالي خمسين رجلا، وعلى مسافة مسطحة علوية ناحية حدود المستطيل المقابل للجبال ناحية الشمال، وهذه المساحة العلوية

1 – أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص195.

2 – عبد الكريم عزوقي ، المرجع السابق، ص 79.

بها شرفات و هي مخصصة للخيالة ويتخللها أربع عشر فتحة موزعة على مختلف الجهات من الحصن، بالإضافة إلى طابق تحت الأرض، توجد بها مخازن مغطاة بأقبية وضيقة على مستويات مختلفة تتصل فيما بينها بواسطة ممرات وسالم .

أما واجهات الحصن من الخارج فهي مسطحة وخالية من الفتحات نحو الخارج، كان الحصن بموقعه الاستراتيجي يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي.[1]

اختار الإسبان هذا الحصن لغلق جدار التحصين، وكان يمتاز بتشييده على مسطحات تنحدر من الغرب إلى الشرق وفتحت بجدار التحصين فتحات للقناصة تسمح بعرقلة رجال الحملة من نزول البر أو الاقتراب من المرسى.[2]

يتميز حصن سيدي عبد القادر بشكله المختلف كليا عن حصن القصبة و حصن برج سيدي موسى من حيث الشكل والتخطيط ،كما نجده أيضا مبني بالحجارة المصقولة ، ثم ألصقت ببعضها البعض بطريقة فوضوية، وعلى غالب الظن أن هذه الحجارة من مبان رومانية قديمة بالمنطقة ، كما كان يحتوي على خزانات للمياه ، كما تعرض الحصن لبعض الاهتزازات الناجمة عن الزلازل التي ضربت المنطقة .[3] (انظر الملحق رقم 03)

3. **حصن أميمون:** يقع الحصن على قمة جبل أميمون المطل على مدينة بجاية ، مما يمنحه موقعا دفاعيا استراتيجيا للسيطرة على المدينة والميناء وهذا الحصن بناه المنصور.[4]

1 - عبد الكريم عزوقي ، المرجع السابق ، ص 80 .

2 - المرجع نفسه ، ص 81 .

3 - المرجع نفسه ، ص82 .

4 - دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص 154 .

المبحث الثالث : القلاع والقصور:

المطلب الأول : القلاع:

. القلعة الحمادية: كما أطلق عليها في بعض المصادر قلعة أبي الطويل، و هي قلعة واسعة تتميز بالحصانة والمناعة، حيث وصفها صاحب الاستبصار على أنها قديمة أزلية ذات خير وفير بنيت على جبل عظيم .[1]

أدت القلعة دور بارزا في تاريخ المنطقة، التي تقع ضمن سلسلة جبال البيبان ، التي تحتل موقع استراتيجي بالغ الأهمية ، تحدها من جهاتها الثلاثة أودية عميقة يتراوح عمقها بين 500 و 600 م ويصلها بالجهة الرابعة يتصل بالجبال المحيطة ، كما تحده مرتفعات شديدة الانحدار .[2]

إن القلعة مدينة حصينة في موقع استراتيجي ممتاز لا يستطيع العدو الوصول إليها إلا بشق الأنفس ، فهي مدينة دفاعية محصنة طبيعيا، بالإضافة إلى التحصينات إضافية كالسور والأبواب التي بقيت أثارها موجودة إلى يومنا هذا .[3]

كانت القلعة تشمل على ثلاثة أبواب وهي باب الأقواس في الناحية الشمالية، وباب جراوة في الناحية الجنوبية الشرقية ، وباب جنان في الناحية الجنوبية الغربية تشبه القلعة في تحصينها لقلعة أنطاكيا، فيما حكي عليها أخططها حماد بن بلكين سنة 370 هـ / 980 م بعرض التحصين وهي قريبة من أشير .[4]

أقيمت القلعة في أعلى جبل كتامة، على مقربة من ميناء بجاية، على ملتقى الطرق التجارية من بلاد السود الذاهبة للقيروان ، من الجزائر و وهران و تيهرث يحدها من الجهة

---

1 – صاحب الاستبصار، ص 169 .

2 – عبد الكريم عزوقي ، المرجع السابق، ص 81 .

3 – المرجع نفسه، ص 82.

4 – بلدة أو حصن بينها و بين المسيلة مرحلة من بلاد الزاب بناها الزيري بن مناد الصنهاجي، تعرف بأشير زيري بنى سوارها وحصنها وعمرها ولم تكن في تلك الأقطار أحصن منها، للمزيد أنظر: الحموي، المصدر السابق، ص 60.

الغربية مدينة المسيلة التي تسمى المحمدية تبعد عنها 12 ميلا، أما من الجهة الشمالية نجدها محصنة طبيعيا فهي تتواجد في أعالي جبل تاقربوست التي ترتفع قمته 1418 م. [1]

المطلب الثاني : القصور

كانت مدينة بجاية مدينة محصنة ومهمة في شمال افريقيا حيث اشتهرت بعدة قصور وحصون دفاعية كانت تحت حكم الدولة الحفصية.

1. **قصر اللؤلوة** : الذي بناه الناصر[2] في وقت تأسيس المدينة ويظهر ذلك صاحب كتاب الاستبصار

يضعه على حافة البحر في موضع حصن عبد القادر ويؤكد ذلك بقوله : " وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصلا بالمدينة ... "[3]

فقد أقيم هذا القصر في الناصية الشرقية فوق قمة بريجا العليا .[4]

ويصف لنا كذلك صاحب الاستبصار أن هذا القصر يحتوي على شبابيك حديدية وأبواب محزمة منحنية مصقولة بالرخام الأبيض المرصع بأحسن النقوش مختلفة الأشكال الهندسية والصور الحسنة.[5]

2. **قصر الكوكب** : يعد هذا القصر أحد المعالم التاريخية البارزة ، بني هذا ليكون مقرا للحكام وكبار المسؤولين والقادة الحفصيين ، و في أواخر القرن السادس عشر أصبح كمقر للحكومة التركية .[6]

---

1 – ابن خلدون، المصدر السابق، ص 230.

2 – المصدر نفسه، ص 232.

3 – الاستبصار، ص 130.

4 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص 413 .

5 – صاحب الاستبصار، ص 130.

6 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص 114.

3. **قصر أميمون** : هو قصر بديع تألق بأجمل الفنون والهندسة كما كان به بركة محاطة بأشجار الذهب والفضة وعلى حافتها تخرج من أفواههم مياه ، بالإضافة إلى هذا أحيط بأروع الرياض والبساتين.[1]

المبحث الرابع : الأبواب والأسوار

1. **الأبواب** : تعد الأبواب الدفاعية عنصر حيويا في حماية المدينة من الهجمات الخارجية خاصة التهديدات الإسبانية والأوربية في البحر المتوسط . كما تعتبر الأبواب وسيلة اتصال بين العالم الخارجي والداخلي للمدينة كما كان للأوضاع السياسية والاقتصادية دور كبير في تحصين المدينة وتدعيمها بأسوار وأبواب وأبراج لتوفير الراحة والأمن للسكان.

أ. **باب البحر**: يعد هذا الباب المدخل الرئيسي المواجه للميناء أي السفن القادمة من البحر إلى المرسى الداخلي للمدينة[2] ، بنيت الباب في عهد السلطان الناصر بن علناس. كانت السفن تحط رحالها داخل المرسى الصغير مارة تحت قوس باب البحر المنكسرة التي مازالت متواجدة في حالة جيدة إلى يومنا هذا. (انظر الملحق رقم 4)

أما من الناحية المعمارية فنجد هذا الباب محصور بين السورين الجنوبي والشمالي، وتقدر أبعاده بـ 7.60 م ارتفاعا ، أما عمقه فيقدر بـ 3.40 م ، وهو قائم على دعامتين حجرتين يبلغ سمك كل واحدة 1.10 م وارتفاعها 2.60 م ، و مبنية بالدبش والآجر، كما أيضا واجهة الباب من عقد منكسر يساعد في تشكيل القبوة الداخلية للباب وهذا العقد مكون من أجر مسطح ومملوء وموضوع على شكل صفوف أفقية إلى ارتفاع 1.50 م تقريبا.[3]

1 – أمينة بوتشيش ، مرجع سابق، ص 194.

2 – روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص 415.

3 – عبد الكريم عزوقي ، المرجع السابق، ص 87 .

كان يتقدم باب البحر برجان مربعان بارزان على مستوى الجدار ، استعملا هذا البرجان لتشديد الرقابة على الباب وإعطاء قوة أكثر للباب بتدعيمهما له.كما أيضا يعلو الباب طريق للمراقبة الدورية فوق القوس الذي يعلو الباب مباشرة .[1]

ب. **باب المرسن** : يعد هذا الباب أحد أهم الأبواب التاريخية لمدينة بجاية الحفصية، كان باب المرسن يفتح على الميناء يرتبط بالحركة البحرية والتجارية ،كان منفذا رئيسيا للتواصل مع البحر الأبيض المتوسط.ويعرف هذا الباب أيضا باسم باب السادات. وكانت تقع في الطريق المؤدي من برج سيدي عبد القادر إلى ميناء سيدي يحيي.[2]

ج. **باب اللوز** : يعد هذا الباب أيضا أهم المداخل الرئيسية ،[3] كان يستخدم للتحكم في الدخول والخروج من المدينة والدفاع عنها عند الحاجة كذلك .ويرجح أنه يقع في الجهة الغربية ويقع في المرتفع الذي يعرف بجبل خليفة.[4]

د. **باب المرقوم** :باب البر أيضا – يقع فوق قبة سيدي أمقران.[5]

هـ. **باب دار الصناعة** : لم يعد موجود هذا الباب بسبب الغزو الإسباني على بجاية، و من المرجح أن يكون هو باب القصبة الذي أشار إليه الباحث دوبيلي .[6]

و. **باب أمسيون** : هذا الباب ينفتح على الحي المسمى باسمه.[7]

إن هذا الباب نجده مذكور بنصوص الغبريني عندما يتكلم عن عملية دفن الولي بجانب الباب أو القيام بنشاط بجانبه .[8] كما جاء مذكور أن هذا الباب يقع في الجهة الشمالية

---

1 – أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص 199.

2 – عبد الكريم عزوقي ، مرجع نفسه، ص 86.

3 – دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص 146.

4 – عبد الكريم عزوقي، المرجع السابق، ص 86.

5 – أمينة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 199.

6 – المرجع نفسه ، ص 199.

7 – الغبريني، المصدر السابق، ص 74 .

8 – دومينيك فاليرين ، **المرجع** نفسه ، ص 144.

الغربية ،كما كانت مقبرة أخرى خارج باب أمسيون وكان الناس يزورون قبور الأولياء الصالحين.[1] وهذا الباب مازالت آثاره متواجدة إلى يومنا هذا .

أ. **باب البنود** : يقع هذا الباب في الجهة الشمالية الغربية لمدينة بجاية، مما شكل مدخل رئيسي للمدينة حيث يتواجد مقر السلطان باستقبال وفود و لحضور بعض المراسيم .[2] يتكون هذا الباب من طبقة متناوبة من الذبش والحجر ويعلوه أماكن لرمي القذائف من الأجر المسطح بحوالي مقدار 2 م.[3] (انظر الملحق رقم 05)

2.الأسوار:

قام الحفصيون بتعزيز أسوار بجاية التي بنيت في العصر الحمادي وزادوا من تحصيناتها بالأبراج والأبواب المحصنة .أضيفت أجزاء جديدة لتوسعة المدينة تضمن الدفاع عنها . بجاية من المدن التي مازالت محافظة على أسوارها والتي تعود إلى الفترة الحمادية.[4]

يصعد السور متدرجا من الجبل في شكل مثلث ضخم حتى يقتحم صخور جبال قورايا الضخمة ويمتد السور في خط يساير تعرج الشاطئ ويحيط بالمدينة من جهة البحر، تسمح لنا المخلفات من اكتساب نظرة دقيقة جدا حول التحصينات. كما نجد أن السور أحاط بكل المدينة مع امتدادها على طول البحر ومزاوجا ومتمما لخطوط الريوتين.[5]

إن سور حاضرة بجاية على الأغلب يتراوح سمكه ما بين و 1.7 و 5.2 م و علوه ما بين 4 إلى 6 م مبني بالحجارة اللينة مع قطع من الحجارة الصلبة المستقيمة والآجر و مغطى كذلك بجير الإسمنتي ، وكان يعلو هذا السور دورية الحراسة المكلل بشرفات دائرية الشكل

---

1 – محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة ، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين ، دار الفاروق للنشر و الطباعة ، الجزائر ، سنة 2015 ، ص 65.

2- دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص 146.

3- عبد الكريم عزوقي، المرجع السابق، ص 88.

4- المرجع نفسه، ص 90.

5 – دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص 141.

ذات قطر مقداره حوالي 1 م من الوجه ، كان يمتد كل 25 م مقوى ببروج حصينة مستطيلة الشكل بطراز سور قلعة بني حماد.[1] (انظر المحلق رقم 06)

المبحث الخامس: المعدات الحربية والأساليب الدفاعية

المطالب الأول: المعدات الحربية:

1.**السيف**: هو أكثر سلاحا شيوعا وانتشارًا ، فهو سلاح قاطع مصنوع من المعدن و غمده مصنوع من الخشب تحمل عادة على الكتف. وحسب ما ذكره برنشفيك أن المشاة أثناء مسيرتهم خارج أوقات القتال يضعون سيوفهم على أكتافهم ، أما الفرسان فكانوا يشدونها تحت سيقانهم .

2.**الخنجر** : هو أقدم سلاح استعمالا ، كان يُشد على الذراع الأيسر ويوثق بالخنصر بواسطة

خيط ، حتى لا يسقط ، استعمل منذ الجاهلية من طرف أهالي برقة والأوراس، ومزال إلى يومنا هذا يستعمل في منطقة التوارق. [2]

3.**الرمح** : هو أحد الأسلحة الأساسية في يد الفرسان والمشاة في المواكب ، يحمل عادة في اليد اليمنى ، يأتي بشكل طويل جدًا ورقيق و يستعمل للطعن.

4.**السهام و الأقواس** : إن رمي السهام هو طريقة مستعملة منذ القدم في المشرق ، كما شجع

الاسلام على استعماله كان المحاربون الحفصيون يميلون إلى استعماله بكثرة .

5.**المنجنيق** : هو إحدى الآلات الدفاعية الموروثة عن العصر القديم من خلال البيزنطيين، وظف المنجنيق في الحصار مثل حصار بجاية حيث كان هذه الأداة فعالة في إضعاف دفاعات العدو . يستخدم بالهدم للحصون بالحجارة الضخمة أو لرمي الأعداء أو إحراق

1 – دومينيك فاليرين، المرجع السابق ، ص ص 142 ، 143.

2 – المرجع نفسه، ص 84.

أماكن العدو. كان المدافعون يستخدمون المجانيق لقذف الحجارة الملفوفة بمادة محرقة تبلغ سمكها عرض الإصبع يعتمدون على بارود المدافع كمادة محرقة لتعزيز تأثير النيران.

6.**الذروع** : هو قميص منسوج من حلق حديدية ، و هي على عدة أنواع منها الزرود من المعدن، وهي كلها أسلحة مستورة في أغلب الأحيان. كما نجد الذرع الأكثر استعمالا وهو الذرع الإفريقي المصنوع من الجلد والمعروف كذلك باسم "الدَّرقة".أما عن أفضل أنواع استعمالا هي الذروع المصنوعة من جلد الظبي و يسمى كذالك "اللمط".[1]

7.**البيضات** : وهي خوذة مصنوعة من الحديد أو الفولاذ مبطنة ببعض المواد اللينة اللينة كالقطن وغيره تلبس لحماية الرأس.[2]

نوع لرمي السهام إذا توضع في المنجنيق الواحد عدة منها ثم ترمى إلى مسافات بعيدة.

نوع آخر كذلك لرمي الحجارة الضخمة لهدم الحصون.

ونوع آخر كذلك لرمي قدور النفط والكرات المشتعلة من النار.

نوع آخر لرمي العقارب أو سلاسل الرمام وغيرها من الرمم العفنة .[3] فالمجانيق تعتبر مدفعية تقليدية فهي مستعملة للبارود وقذائف الحديد، كما أن حجارة المجانيق لها مفعول مدمر، كان قسما من هذا البارود يجلب من الدول الأوروبية من أرجوانة . عن طريق التهريب . ثم بعد ذلك أصبحت إفريقية تزود هي نفسها المسلمين بالأندلس.

8. ظهور الأسلحة النارية:

مع القرن الخامس عشر ميلادي، شهدت مدينة بجاية العاصمة الحفصية المهمة في شمال إفريقيا بداية ظهور البارود واستخدامه في المجال العسكري . كانت بجاية مركز تجاريًا

1 – دومينيك فاليرين، المرجع السابق ، ص ص 85 ، 87.

2 – فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دور المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005 – م، ص 179.

3 – المرجع نفسه ، ص 171.

وعسكريا حيويا في البحر المتوسط، مما جعلها من أوائل المدن التي أدخلت تقنيات الحرب الحديثة بما في ذلك الأسلحة النارية المبكرة، يعتقد أن البارود بدأ في الانتشار في المنطقة عبر التبادلات مع الدول الأوربية والعثمانية، حيث بدأت المدفعية والأسلحة النارية تلعب دورا متزايدا في الصراعات و قد ساهم هذا التطور تغيير طبيعة الحروب في المنطقة مما عزر قوة الدولة الحفصية لفترة قبل أن تتراجع أمام التوسع العثماني لاحقا ، تظهر هذه الظاهرة كيف كانت بجاية حلقة وصل في نقل التقنيات العسكرية بين الشرق والغرب خلال العصور الوسطى المتأخرة.[1]

المطلب الثاني : وسائل النقل:

1. **الخيول** : كانت السلالة البربرية هي الأكثر انتشارا في المنطقة ، تتميز هذه الخيول بالسرعة والقوة والتكيف مع المناخ الصحراوي والجبلي .[2]

اشتهرت المنطقة بتربية الخيول الأصيلة وكانت الخيول البربرية مطلوبة لجودتها وقدرتها على التحمل. الحفصيون في حروبهم حيث ذكرت بأنها استعملت كأداة تنقل ولركوب القواد والجنود التابعين للقبائل ، كانوا يستعملون خيولا متحركة ومؤهلة للقيام بالمناورات المرنة وعمليات الكر والفر، كما ذكر أنهم يركبون الخيول غير المصفحة حسب الطريقة الشرقية مستعملين لها السروج العالية والركب القصيرة. كما تساعد كذالك في نقل المعدات الثقيلة مثل الذخيرة.[3]

2. **الإبل** : لعبت الإبل دور مهم في النقل والتجارة وعند الحروب كانت تستعمل منذ القدم ويستعملونها جميع الاشراف حيث كانت الخيول والبغال أكثر شيوعا ، ومع ذلك

1 فتحي زغروت، المرجع السابق، ص ص 86 ،87.

2- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 262.

3- روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص 90.

كانت الإبل تستخدم في بعض الوظائف خاصة المناطق شبه صحراوية والطرق الطويلة وهذا لقدرة تحملها وخفتها.[1]

كما استخدم الحفصيون الإبل لنقل المؤونة والمعدات العسكرية في المناطق شبه جافة أو أثناء قيامهم بحملات عسكرية في المناطق البعيدة عن الساحل خاصة المناطق التي تعاني من نقص في الماء، كما كان دورها القتالي محدود مقارنة بالخيول وذلك بسبب طبيعة بجاية المحاطة بالجبال مما جعلها أقل كفاءة من البغال والخيول في هذه المنطقة .[2]

المطلب الثالث : الأساليب الحربية :

1. أسلوب الحصار والتحرك:

كانت استراتيجية الحصار البري في بجاية الخفية تعتمد على محاصرة المواقع وتطويقها، مع استخدام الآلات الحربية ، وعندما يشعر المحاصرون بأنهم في موقع قوة يشن الجنود هجوما جماعيا منظماً دون تفرق حيث لا توجد أدلة تشير إلى أن المحاربين كانوا يستدرجون العدو للقتال فوق أرض محددة، بل كان التركيز ينصب على الهجوم المباشر والضغط المستمر لاستنزاف المدافعين، وما يميز هذه الاستراتيجية هو التنسيق الدقيق بين وحدات الجيش المختلفة فحين تتاح الفرصة المناسبة، وتترجح كفة القوة لصالح المحاصرين .[3]

أشار كذلك ابن خلدون أن الحفصيين استخدموا أساليب الحصار في حروبهم، خاصة أثناء صراعاتهم مع الدول المجاورة من بني عبد الواد عندما حاول بني مرين التوسع شرقا استخدم الحفصيون الحصار كأداة دفاعية و هجومية ضد تلك الهجمات، وقد اعتمدوا هذا الأسلوب لكسر مقاومة الخصوم دون الدخول في معارك مكلفة ونجاحهم في ذلك يعتمد على التحالفات القبلية والموارد الاقتصادية .[4]

1- الحسن الوزان، المصدر السابق ، ص 260.

2- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ص 90 .

3- المرجع نفسه، ص 91.

4- ابن خلدون ، المصدر السابق ، 551.

2. أسلوب الكر والفر:

استخدم الحفصيون في استراتيجيتهم الدفاعية أسلوب الكر والفر[1] ، وهو أسلوب قتال العرب والبربر من أهل المغرب[2]. وهو أسلوب عسكري يعتمد على المناورات السريعة و المفاجئة وهو أسلوب شائع في الحروب في المناطق الجبلية خاصة مثل بجاية لأنها منطقة غابية مما يوفر مخابئ طبيعية وطرقا سريعة للانسحاب ، كانت القوات الكمائن في الممرات الضيقة أو فوق المرتفعات تم تتراجع بعد الهجوم، وهذا الاسلوب المستعمل أسلوب الكر والفر وتكرار الهجمات المفاجئة يرهق العدو ويجعله في حالة توتر دائم ،[3] ويهدف هذا الأسلوب إلى تقطيع خطوط الإمداد وتعطيل التقدم.

كما سمحت لهم بإتاحة الفرصة للاستيلاء على الغنائم والزحف عليهم فيما بعد على حين غفلة. مثلث مدينة بجاية إحدى أهم الحواضر الاستراتيجية في المغرب الأوسط ، نظرا لموقعها الجغرافي الساحلي المطل على البحر المتوسط مما جعلها عرضة للهجمات الخارجية خاصة من القوى المسيحية مثل الإسبان .

ونظرا للعوامل الطبيعية والموقع الاستراتيجي لبجاية الحفصية، استغل الحفصيون التضاريس الجبلية المحيطة بالمنطقة كحاجز طبيعي، كما حرصوا كذلك على تعزيز تحصيناتها الدفاعية فأنشأوا منظومة متكاملة من الأسوار والأبراج والأبواب والقصور المحصنة.

ونجحت هذه التحصينات الدفاعية في بجاية الحفصية لصد العديد من الهجمات خاصة خلال فترات الصراع مع الإسبان والممالك المحاورة مما جعلها مدينة منيعة وصورة مصغرة عن التطور العسكري والعمراني في العصر الحفصي .

1- روبار برنسقيك ، المرجع السابق ، ص 83 .

2- فتحي زغروت. المرجع السابق ، ص 239.

3- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ،ص 92 ، 93 .

الخاتمة

الخاتمة :

في ختام الحديث عن النظام العسكري في بجاية الحفصية خلال القرن 9 هـ /13 – 16م و بعد هذه الرحلة العلمية يمكننا استخلاص جملة من النتائج التي توضح لنا أن هذا النظام يعتبر أحد الأعمدة الأساسية للدولة الحفصية في المنطقة ليس فقط من حيث الدفاع عن الحدود بل أيضا في فرض الاستقرار الداخلي و ضمان استمرارية الحكم.

- من خلال دراستنا لتكوين الجيش توصلنا إلى أن الدولة تعتمد على العنصر القبلي في تأسس عامة مالكيها بحيث نجدها دائما مساهمة لأي خطر يداهمها .
- تعتبر بجاية حصن منيع وقاعدة عسكرية متكاملة التي ساهمت بدورها في حماية الدولة ويوسع نفودها في المنطقة المغاربية والمتوسطية .
- تميز هذا النظام بتنوع تشكيلاته وتنظيم هرمي دقيق بالإضافة إلى الاعتماد الواضح على التنظيمات العسكرية الموروثة من الموحدين .
- بروز دور العناصر المحلية والأجنبية كالمتطوعين والمرتزقة من الأندلسيين والأتراك في تحرير القوة البرية مما يعكس لنا السياسة العسكرية المرنة للحفصيين .
- التأكيد على المكانة البحرية لبجاية من بين أهم القواعد البحرية في غرب المتوسط، تميز الأسطول الحفصي بقدرته على حماية السواحل وضمان الأمن والاستقرار التجاري، ومشاركته في الصراعات الاقليمية حيث كشفت لنا الدراسات في التطور التقني للسفن الحفصية، وتأثرها بالتفاعلات البحرية مع القوى المتوسطية المعاصرة مما دفع السلطة الحفصية إلى تطوير أدواتها العسكرية باستمرار، ما ساهم في جعل بجاية مركزا عسكريا مهما في المغرب الأوسط .
- تبين لنا من خلال استعراض لنماذج التحصينات العسكرية بواجهاتها وأسرارها وأبوابها وقلاعها وأبراجها، أن المدينة بجانب موقعها الطبيعي الاستراتيجي تمتعت بخصائص دفاعية متميزة ، فقد صممت تحصيناتها لكون حصينة يصعب اختراقها

و ذلك من خلال أشكال الأبراج وتوزيعها و تنوعها وهذا راجع إلى الأساليب المتطورة التي تعكس التطور الفكري سواء من حيث التخطيط أو المواد المستخدمة أو الاستراتيجيات الدفاعية.

- تطور مدينة بجاية في أساليب التحصين وفنون الدفاع مما يعكس وعيا استراتيجيا لدى المهندسين والمعماريين يتجلى ذلك في تنوع الأدوات والتقنيات الحربية والمواد المستخدمة التي تزخر بها الدولة .
- نجد أيضا المتطلبات التي فرضها واقع الحياة في المدن الاسلامية بسبب التهديدات الخارجية أو طبيعة موقعها الجغرافي الذي أدى إلى تطوير النماذج المعمارية الدفاعية التي تتسم بالفعالية .
- ختاما يمكن القول أن النظام العسكري في بجاية الحفصية كان نظام متكاملا يعكس لنا رؤية استراتيجية شاملة حيث توازنت القوى البحرية مدعومة ببنية تحتية دفاعية متينة بحيث لم تكن مجرد أداة حرب فقط بل عاملا حاسمات في الاستقرار السياسي و الازدهار الاقتصادي للدولة الحفصية .

الملاحق

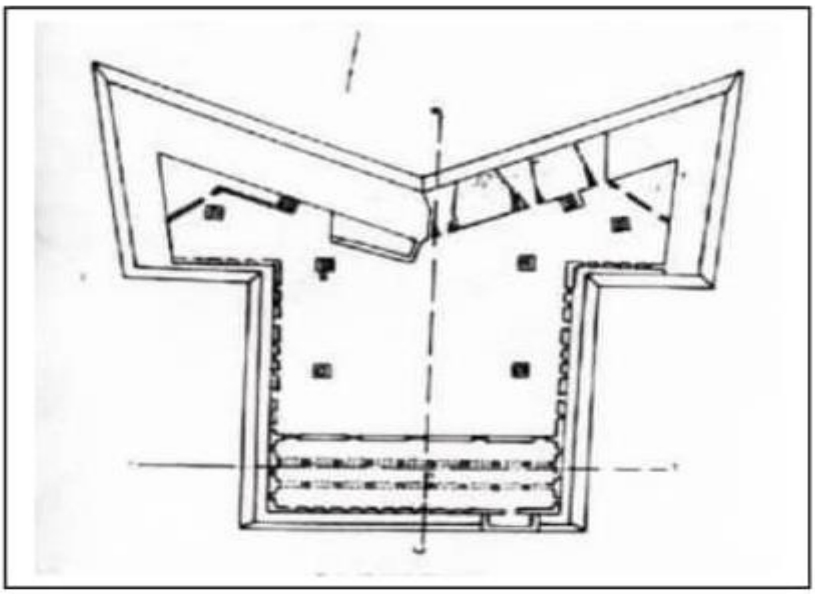
الملحق رقم 01

منظر عام لمدينة بجاية- مأخوذ من الميناء



بطاقة بريدية يعود تاريخها إلى سنتي 1915-1910

الملحق رقم : 02



مخطط لبرج موسى

عزوقي عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 93

الملحق رقم 03

برج (حصن) عبد القادر وجبل غورية



بطاقة بريدية يعود تاريخ تصويرها إلى سنة 1900 – 1905.

الملحق رقم 04 :

باب البحر ببجاية



عزوقي عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 95.

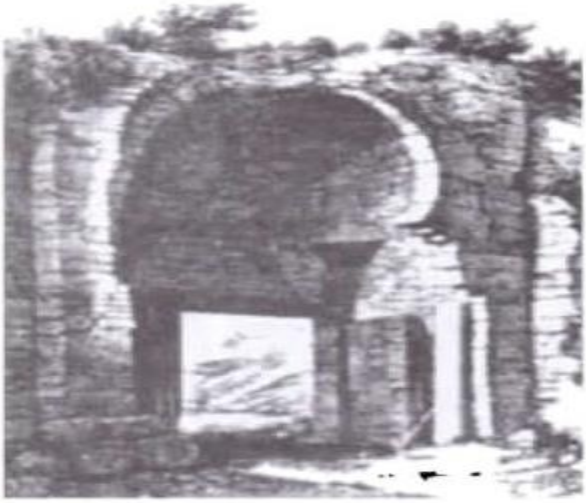
الملحق رقم 05

- باب البنود الفوقـــا -



- المنظر الداخلي لباب البنود –

بـاب البنـــود



عزوقي عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 95.

الملحق 06



بقايا من أحد أسوار بجاية

عزوقي عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 95.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1. القرآن الكريم :

المصادر :

1. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي (630هـ/1233 م)، الكامل في التاريخ، دار صاد، بيروت للطباعة والنش، بيروت، 1387 /1957.
2. الإدريسي (560هـ/1165م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004 م .
3. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت " معجم البلدان، ج 6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979.
4. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900 هـ/1945 م)، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، ط2، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح ، بيروت، 1975- 1984.
5. ابن خلدون أبي زكريا يحي بن محمد الخضرمي (ت 780هـ / 1378 م) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تح: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المكتبة الوطنية، دط ، ج 1، 1980 م .
6. ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ / 1406 م)، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، ضبط ومراجعة خليل شحادة، سهيل زكار ، دار الفكر والطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 2000 .
7. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 925هـ/ 1519م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضور، ط 2 ، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
8. ابن الشماع أبو عبد الله محمد (حيا سنة 861 هـ /1456 م) ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب ، تونس، 1980.
9. العبدري محمد البلنسي (725 هـ/ 1323 م)، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 1428 هـ 2007 م.
10. العمري، أبو فضل الله(ت 749 هـ/ 1348)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج 4، تح : كامل سليمان الحيوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010

11. الغبريني أبو العباس أحمد (704 هـ/ 1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : عادل نويهض ، ط 2، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1979.
12. ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، تح : الأستاذ علوش، الرباط ، المطبعة الجديدة ، 1934 .
13. القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد (ت 821 هـ / 1418 م)، " نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، تح: علي الخاقاني ، بغداد ، مطبعة النجاح ، 1958.
14. ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن خطيب (ت 810 هـ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح وتق: محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد الترك، الإسكندرية، الدار التونسية للنشر، د ط، 1968 .
15. المراكشي عبد الواحد (ت 647هـ/ 1249م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب : تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، دت .
16. ابن منظور بن علي أبو الفضل جمال الأنصاري (ت711 هـ /1311م) ، لسان العرب ،ج 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1414 هـ.
17. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة و مصر وبلاد المغرب، تع :سعيد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية الدار البيضاء، 1985.
18. الوزان الحسن (ت 956 هـ /1549 م) وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ج 1 ، 1983 .

المراجع :

1.بربكة مسعود، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9 هـ / 13-15 م) : دار ميم للنشر، الجزائر، 2014 .
2.برنشفيك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، تح :حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1988 .
3.بن عميرة محمد ، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، دار الفاروق للنشر والطباعة، الجزائر، سنة 2015.
4.بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
5.بولعسل أحسن، الضرائب في المغرب الإسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين، تقديم عبد العزيز فيلالي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 .
6.جبوري عدي سالم عبد الله حمد ، دراسات في تاريخ صدر الإسلام، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014 م.
7.جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، د ط ، 1999 .
8.حسين الحاج حسن، حضارة الغرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان ، 1982.
9.زغروت فتحي ، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دور المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005 م.
10.عامر أحمد ، الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1974 .
11.العروسي محمد المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي : دار الغرب الإسلامي، دط ، لبنان، 1986.
12.عزوقي عبد الكريم، "التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية" ، مقال منشور في مجلة دراسات وأبحاث، الجلفة، ع (5)، رقم 12، سنة 2013.

13.العيد غزالة ، مساهمة العنصر الأندلسي في الجيش الحفصي، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، وادي سوف، ع (3)، رقم 1، سنة 2019.
14.فاليرين دومينيك ، بجاية ميناء مغاربي 1067-1510م ، تر: علاوة عمارة ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014.
15.المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792، وثائق ودراسات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دار البعث .
16.الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية في تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10هـ إلى القرن 12 هـ، تر : هادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992.

أطروحات و رسائل جامعية :

1. بوتشيش أمينة ، بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية و حضارية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في تاريخ الغرب الاسلامي، إشراف أ. د مبحوث بودواية ، بلحاج معروف، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد ، السنة الجامعية 2015-2016 .
2. رحيم عائشة، المؤسسات العلمية في العهد الحفصي ، دراسة تاريخية ، مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، في علوم تاريخ العرب الإسلامي، إشراف سي عبد القادر عمر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان،2017-2018 .

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر و عرفان	....
مقدمة	أ. هـ.
الفصل التمهيدي : الحفصيون في بجاية	14 . 9
أولا :أصل الحفصيين ونسبهم	10 . 9
ثانيا : الخلفيات الممهدة لظهور الحكم الحفصي	14 . 10
الفصل الأول: تنظيم الجيش البري في بجاية الحفصية .	34 . 17
المبحث الأول : دوافع تأسيس الجيش في بجاية .	20 . 17
المبحث الثاني : أصل الجيش	25 . 20
المبحث الثالث : العناصر المكونة للجيش	28 . 26
المبحث الرابع : تعداد الجيش البجائي في الدولة الحفصية	31 . 28
المبحث الخامس : لباس الجيش وتموينه	34 . 31
الفصل الثاني : الأسطول البحري في بجاية الحفصية.	55 . 35
المبحث الأول : الموقع الاستراتيجي لبجاية .	41 . 36
المبحث الثاني : التجارة البحرية	46 . 41
المبحث الثالث : القرصنة البحرية :	48 . 46
المبحث الرابع : العمليات العسكرية التي خاضها الأسطول	55 . 48
الفصل الثالث : التحصينات الدفاعية في بجاية الحفصية	76 . 56
المبحث الأول : التحصينات الطبيعية	62 . 57
المبحث الثاني : الأبراج والقصور	67 . 62
المبحث الثالث: القلاع والحصون	69 . 67
المبحث الرابع : الأبواب والأسوار	71 . 69
المبحث الخامس : المعدات الحربية والأساليب الدفاعية	76 . 71

الخاتمة :	79 . 78
قائمة المصادر و المراجع :	80 . 79
الفهرس	81